

أيتها النساء، اخضعن!

في العالم الإنجيلي الناطق بالإنجليزية يصدر - عبر كل الطوائف - كتاب جديد واحد على الأقل كل شهر عن مسألة الجنسين وكل المواضيع المرتبطة بها: النوع الاجتماعي (الجندر)، والتحول الجنسي، والزواج، والأسرة، والإجهاض، والإساءة، والعنف الأسري في الزيجات المسيحية، وغير ذلك. أما في ألمانيا فالوتيرة أبطأ، فقد ارتاح الناس إلى الوضع القائم. وربما تصدر ثلاثة كتب في السنة تتناول هذا الموضوع.

تمرّ في العالم المسيحي موجات عاصفة عدّة، وهي سبب كافٍ لمواجهة هذه الأسئلة من جديد في كل جيل، ولكي يفهم كل واحد من جديد، لنفسه ولزواجه ولكنيسته، كيف ينبغي لنا وكيف يمكننا أن نعيش العلاقة بين الجنسين. فالمسيحيون يتّخذون يسوع والرسل مرجعًا لهم، ومن ثمّ الكتاب المقدس.

ومن المعروف أن كثيرًا من المسيحيين المحافظين يفهمون العلاقة بين الجنسين، بوجه عام، على أن لآدم، ومعه لكل رجل، دورًا قياديًا أعلى وأكثر مسؤولية تجاه حواء وتجاه المرأة بوصفها امرأة. ولذلك تخضع المرأة، ولا تتولّى في الكنيسة أيّ منصب، أو تتولّى القليل منها فقط. فهي لا تعظ ولا تعلّم. هذا هو تعليم تاريخ الكنيسة - لا تعليم القرنين الأول والثاني، بل ابتداءً من ذلك الحين حتى ما قبل بضعة عقود. ويعتقد كثيرون أن هذه هي الحقيقة الإلهية، والتعليم الصحيح، والممارسة الصحيحة للحياة. والدافع إلى ذلك هو الأمانة للكتاب المقدس، لا شكّ في ذلك. ولكن حين يُوضع هذا التسلّط الذكوري موضع التساؤل من أساسه، تنكشف أنماط تفكير لم تكن تُلاحظ حتى ذلك الحين.

في الولايات المتحدة تتبنّى هذا الرأي حركات أحدث مثل T4G و Gospel Coalition، وأكثر من الجميع المعمدانويون الجنوبيون (Southern Baptists) (The Danvers Statement). وغرودم (Grudem)، ومور (Moore)، وبايبر (Piper)، وشرايبر (Schreiner)، وكوستنبرغر (Köstenberger)، ودي يونغ (DeYoung)، وكيلر (Keller)، وكارسون (Carson)، وستورمز (Storms)، وماك آرثر (MacArthur)، وشتراوخ (Strauch) شخصيات معروفة تدافع عن هذا الرأي - الخاطئ من أساسه في نظري. لقد تبنيّت أنا نفسي هذا الرأي وعلمته زمناً طويلاً، وأقدّر معظم هؤلاء الإخوة المذكورين وأعمالهم التفسيرية. والخلاف يتعلّق بموضوع الرجل والمرأة هذا (وبالكالفينية التي يتبنونها، وهي ليست ذات صلة هنا).

وفي ألمانيا تشعر مبادرات ودور نشر بأنها مدعوة إلى اتباع هؤلاء القادة، وإلى تجديد هذه الأطروحات وتسويقها على أنها حقيقة كتابية. وأذكر هنا بعضها، ممن أشاركها أنا نفسي «الأمانة للكتاب المقدس» في معظم النقاط، لا في موضوع الرجل والمرأة هذا: E21، و EBTC، و 3L-Verlag، و CLV-Verlag، و CSV-Verlag، و CV Dillenburg، و Betanieng، وغيرها، واجتماعات الإخوة المنغلقيين والإخوة الأحرار، والكنائس ذات الطابع الألماني الروسي (كنائس الألمان القادمين من روسيا)، وجزئيًا أيضًا الكنائس الإنجيلية الحرّة (FeGs) والكنائس الإنجيلية الحرّة المعمدانية (EFGs)، وكل الكنائس المدرجة في KFG.org.

تتضمّن هذه الوثيقة فصلين من كتاب الجنوب أفريقي تيران ويليامز (Terran Williams): «How God Sees Women: The End of Patriarchy». وهو نفسه راعي كنيسة كبيرة، وكان حتى وقت غير بعيد يتبنّى الرأي التكاملي، أي الخضوع الهرمي للمرأة، وإن في صورة معتدلة، وكان يتبع الإخوة الأمريكيين المذكورين أعلاه. إلى أن عاد إلى النصوص الكتابية من جديد وتناولها تناوّلًا متعمّقًا، فاضطرّ إلى رفض هذا الرأي رفضًا تامًا. وقد جرى لي أنا أيضًا أمر مشابه أو يكاد يكون مطابقًا. ومن ذلك نشأ كتاب يلقي الضوء على الموضوع مرة أخرى، ويدحض ببساطة هذا الرأي الأبوي والتكاملي.

Hans-Jörg Ronsdorf، أبريل/نيسان 2022، مع إضافات في أكتوبر/تشرين الأول 2026

الكتاب كاملاً متاح الآن بالألمانية

«Wie Gott Frauen sieht. Biblische Perspektiven jenseits von Macht und Tradition» Terran Williams: «كيف يرى الله النساء: رؤى كتابية تتجاوز السلطة والتقليد». Kirche für Alle، 2026.

كتاب ورقي، 18.80 يورو (ISBN 978-3-9826027-8-3): <https://www.amazon.de/dp/3982602785>

كتاب إلكتروني على كيندل (Kindle)، 9.80 يورو: <https://www.amazon.de/dp/B0HDPLZJ3C>

المزيد عن الكتاب: <https://www.hans-joerg-ronsdorf.de>

الفصلان التاليان – الفصل 8 «أيتها النساء، اخضعن» والفصل 9 «الإله الذي يتكّيف» – هما نصّ هذه الطبعة الألمانية.

8



أيتها النساء، اخضعن

«ليس الزوجان في علاقة هرمية أحدهما مع الآخر، ولا هما وحدتان مستقلّتان منفصلتان إحداهما عن الأخرى، تفعل كلّ منهما ما يحلو لها. بل الزواج علاقة خضوع متبادل.» ريتشارد هايز (Richard Hays)¹

«علينا أن نُعَدّ بناتنا ليخضعن يومًا ما لأزواجهنَّ.» حين سمعتُ مؤخرًا أمّا تقول هذا لزوجتي، دفعني ذلك حقًا إلى التفكير العميق. هل ينبغي لي فعلاً أن أعلم ابنتي آيفي (Ivy) أن تخضع يومًا ما لزوجها؟ إن موضوع القيادة والخضوع في زواج المرء نفسه شخصي بما فيه الكفاية. ولكن حين يتعيّن عليّ أن أفكر في الدروس التي ينبغي أن أنقلها إلى أولادي عن الزواج، أشعر بأنني ملزم أكثر بأن أعلم الصواب.

التكاملية ذات النقطة الواحدة

لم أودّع نهائيًا وكنيًا فكرة أن مثال الله الأعلى لكل الزوجات يتضمّن ولو أخفّ صورة من صور السلطة والخضوع بين الرجل والمرأة، إلا في أثناء بحثي لهذا الفصل والفصل التالي. فبناءً على ما قرأته في أفسس 5 ظننتُ زمناً طويلاً أن قيادة الرجل الباذلة لنفسه تجاه زوجته ينبغي أن تعكس قيادة المسيح الباذلة لنفسه تجاه كنيسته.

التكاملية ذات النقطة الواحدة ترى أنه يجوز للنساء أن يقُدن الرجال في الكنيسة وفي المجتمع، بينما ينبغي للزوجات أن يمارسن نوعًا من الخضوع الأحادي الجانب لأزواجهنَّ.² وبهذا تختلف عن **التكاملية ذات النقطتين**، التي تطالب بخضوع المرأة في الزواج وفي الكنيسة. ومن اللافت أن كثيرًا من اللاهوتيين والكنائس في العالم يتبنّون التكاملية ذات النقطة الواحدة.³

أستطيع أن أتصوّر أن كثيرًا من أنصار التكاملية ذات النقطتين الذين يقرؤون هذا الكتاب سيقتنعون بالتخلّي عن استبعاد النساء من قيادة الكنيسة، لكنهم ربما سيتمسّكون مع ذلك بصورة من صور السلطة والخضوع في الزواج. وبما أنني تبنّيتُ هذا الموقف بنفسني بضع سنين، فأنا أفهم ذلك جيدًا.

وحين دفعتني دراستي المتقدّمة لأفسس 5 إلى التخلّي عن التكاملية ذات النقطة الواحدة أيضًا، لم يحدث ذلك – ومن اللافت – تغييرات جوهرية في زواجي. فكما سأوضح لاحقًا، أدركتُ أنني كنتُ في زواجي، إلى حدّ ما، من أنصار التبادلية أصلًا. لأنه إن كانت خبرتي الزوجية التي تقارب عقدين من الزمن قد علّمتني شيئًا، فهو هذا: إن الزواج القائم على المساواة أكثر جاذبية بكثير من زواج يقود فيه أحد الطرفين ويتبع الآخر. وهذا على الرغم من الشعارات الجميلة الكثيرة عن الزواج «المسيحي» التي وعظتُ بها أنا وآخرون مرات كثيرة، مثل: «هو يبذل نفسه، وهي تنقاد؛ هو يقود، وهي تتبع؛ هو يبادر، وهي تؤكّد».⁴

ومع أن يسوع لم يذكر بكلمة واحدة دورًا قياديًا للرجل تجاه زوجته،⁵ يبدو أن لدى بولس الكثير ليقوله في هذا الشأن، ولا سيما في أفسس 5، وهو النصّ الذي يدور حوله هذا الفصل في المقام الأول. والمقصود الأعداد التالية (LUT، ترجمة ألمانية للكتاب المقدس):

21 اخضعوا بعضكم لبعض في خوف المسيح.

22 أيتها النساء، اخضعن لرجالكنّ كما للرب. 23 لأن الرجل هو رأس المرأة، كما أن المسيح أيضًا رأس الكنيسة – وقد خلّصها بوصفها جسده. 24 ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح، كذلك ينبغي أن تخضع النساء لرجالهنّ في كل شيء. 25 أيها الرجال، أحبّوا النساء كما أحبّ المسيح أيضًا الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها، 26 لكي يقدّسها. لقد طهرها بغسل الماء بالكلمة، 27 لكي يحضرها لنفسه كنيسةً مجيدة، لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك، بل تكون مقدّسة وبلا عيب. 28 كذلك يجب على الرجال أيضًا أن يحبّوا نساءهم كأجسادهم. من يحبّ امرأته يحبّ نفسه. 29 فإنه لم ييغض أحد جسده قطّ، بل يقوته ويربّيه كما المسيح أيضًا للكنيسة. 30 لأننا أعضاء جسمه. 31 «من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويكون

الاثنان جسديًا واحدًا» 32 هذا السرّ عظيم؛ ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة. 33 وأما أنتم أيضًا: فليحبّ كل واحد امرأته هكذا كنفسه؛ وأما المرأة فلتهب رجلها.

في أثناء انشغالي بهذا الأصحاح خطرت ببالي عبارة لسي. إس. لويس (C. S. Lewis): «كثيرون ... يجدون أن قلوبهم تترنّم من تلقاء نفسها وهم يشقّون طريقهم في نصّ لاهوتي صعب، والغليون في أفواههم والقلم في أيديهم.» وأفسس 5 نصّ صعب من هذا النوع، مكتنّز باللاهوت، وأنا منشغل به منذ سنين كثيرة. وهناك ثلاثة أسباب جعلتني أتناوله بهذا القدر من التعمّق.

السبب الأول: إن أهمّ علاقة أرضية لديّ هي علاقتي بزوجتي. أريد أن أطيع كلمة الله وأن أطبّق حكمة الله على زواجي، وهذا المقطع من أهمّ نصوص الكتاب المقدس في موضوع الزواج، ولذلك أريد أن أفهمه فهمًا صحيحًا.

السبب الثاني: إن قراءة هذا المقطع التي ترى أن «الرجل يقود والمرأة تتبع» تناقض خبرتي الشخصية وإدراكي الثقافي. وأودّ أن أوضح ذلك أكثر: أنا متزوّج بامرأة متعلّمة وكفّوة مثلي تمامًا – بل أكثر مني في نواحي كثيرة. فهي تُحسن إدارة المال أكثر مني، وتكسب حاليًا مالا أكثر مني؛ وتُحسن تقدير الاحتياجات العاطفية والعملية لأولادنا أكثر مني؛ وهي بطبيعتها أقدر مني على قيادة مجموعات من الناس. وفضلاً عن ذلك يبدو أن الله يكلّمها عن عائلتنا وخدمتنا بقدر ما يكلّمني. وحين أتمسّك بدوري القيادي تجاهها، لا يبدو لي ذلك اعتباطيًا فحسب، بل أيضًا جرحًا لعلاقتنا ولكفاءتها. وإن كنتُ صادقًا، فإن العمل معها بوصفها شريكة مساوية لي يبدو لي أفضل بكثير من أن أقدم لها قيادتي.

والسبب الثالث الذي جعلني أصارع مع هذا المقطع هو التالي: حتى مفسّرو الكتاب المقدس البارزون يصلون إلى نتائج مختلفة بشأن معناه، والرعاة يصلون إلى نتائج مختلفة بشأن تطبيق قناعاتهم على زواج بعينه. ومهما بدت الكلمات بسيطة عند القراءة الأولى، فإن أفسس 5 يثير عند التأمل الدقيق أسئلة أكثر مما يقدّم من أجوبة. لننظر فقط في الأعداد الأولى: لماذا يبدأ بولس كلامه عن العلاقة الزوجية بالعدد الذي يتحدّث عن الخضوع المتبادل؟ ماذا تعني كلمة «الرأس»؟ ماذا تعني «يخضع»؟ هل لكلمة «يخضع» المعنى نفسه في العدد 21 («اخضعوا بعضكم لبعض») والعدد 22 (أيتها النساء، اخضعن لرجالكنّ) والعدد 24 (الكنيسة تخضع للمسيح)؟ وماذا يعني عمليًا أن تخضع النساء لرجالهنّ «في كل شيء»؟

سأتناول هذه الأسئلة من خلال أربعة تفسيرات مختلفة – أو «آراء». وبما أن ثلاثة أرباع المقطع في أفسس 5 موجهة إلى الزوج، فسأعرّف كل رأي بحسب ما يُطلب من الزوج المسيحي. وهذه الآراء الأربعة ترى الزوج صاحب القرار (الرأي 1)، وصاحب الكلمة الفصل (الرأي 2)، وخادمًا لشريكته المساوية له (الرأي 3)، وربّ الأسرة المفدّي، *paterfamilias* (الرأي 4).

الرأي 1: الزوج هو في الحالة العادية صاحب القرار

هذا هو رأي واين غرودم (Wayne Grudem). فهو يكتب أن بولس لا يقصد في أفسس 5: 21 بعبارة «اخضعوا بعضكم لبعض» أن يخضع جميع المسيحيين لجميع المسيحيين، بل فقط أن يخضع جميع المسيحيين لمن لهم سلطة شرعية عليهم وحدهم. وبعبارة أخرى: الخضوع يسري على المرأة تجاه الرجل، لا العكس قطعًا.

ويقول إن «الرأس» في عبارة «الرجل هو رأس المرأة» يعني «صاحب سلطة على». فبولس – بحسب رأيه – يُلزم الرجال بتولّي القيادة على نساءهم، ويحثّ النساء على قبول هذه القيادة. وحين يتحدّث بولس عن أن

الرجل يبذل حياته لأجل زوجته كما فعل يسوع لأجل الكنيسة، فهذا يعني أنه يحث الرجل لا على أن يحب زوجته فحسب، بل أيضًا على أن يقودها بمحبة. وأخيرًا، حين يقتبس بولس التكوين 2: 24، فإنه - بحسب غرودم - يؤسس سلطة الرجل على المرأة على رواية سيادة آدم على حواء قبل السقوط.

وفي ما يتعلّق بالنتائج العملية لكل ذلك، يخبرنا غرودم كيف يطبّق هذا في زواجه هو:

في كل قرار، كبيرًا كان أم صغيرًا، وبغضّ النظر عمّا إذا كنا متّفقين أم لا، تقع مسؤولية القرار عليّ دائمًا. (أحدّث هنا عن القرارات التي تخصّنا كلينا، لا عن القرارات الفردية التي يتّخذها كلّ منا في نطاق مسؤوليته الشخصية). ولا أقبل الرأي القائل إن رئاسة الرجل لا تظهر إلا مرة واحدة نحو كل عشر سنوات، حين لا يستطيع الزوج والزوجة الاتفاق. ففي رأيي أن رئاسة الرجل ذات أهمية في كل قرار يتّخذه الزوجان طوال حياتهما الزوجية. فإن كانت هناك رئاسة حقيقية للرجل، فهناك اتفاق ضمّني على أن ثقل عملية اتخاذ القرار يقع على الزوج لا على الزوجة. ومع أنه كثيرًا ما تجري نقاشات كثيرة، وينبغي أن يُحفظ الاحترام والمراعاة المتبادلان، فإن مسؤولية القرار تقع في نهاية المطاف على الزوج.⁶

ويُتبنّى جون بايبر (John Piper) هذا الرأي إلى حدّ بعيد. وهو يتذكّر بإعجاب زواج والديه، الذي كان أبوه فيه يتّخذ القرارات عادةً:

حين كان أبي يعود إلى البيت، كان بوضوح رأس العائلة. كان هو من يصليّ قبل الطعام. وكان يدعو العائلة إلى التأمّل والصلاة. وكان يأخذنا إلى مدرسة الأحد وإلى الاجتماع. وكان يقود السيارة. وكان يحدّد أين سنجلس. وكان يقرّر أن نذهب لتناول الغداء في مطعم هوارد جونسون (Howard Johnson's). وكان يرافقنا إلى المائدة. وكان ينادي النادلة. وكان يدفع الحساب. وكان هو من علينا أن نحسب حسابه إن خالفنا قاعدة من قواعد العائلة أو أسأنا الأدب مع أمّنا. كانت تلك أسعد الأوقات لأمتنا. آه، كم كانت تفرح حين يكون أبي في البيت! كانت تحبّ قيادته. وفي ما بعد تعلّمتُ أن الكتاب المقدس يسمّي هذا «خضوعًا».⁷

ومعظم كتب الزواج المسيحية الرائجة تتبنّى هذا الرأي. ففي أحدها يقول مثلاً: «الزوج ... مسؤول عن القرارات المهمة في البيت. ... والزوجة المنفتحة المتجاوبة تتخلّى عن طيب خاطر ... عن حريتها مقابل محبته وتكريمه وحمايته وإعالاته».⁸ ويشاركه كتاب آخر هذا الرأي: «قد يكون للرجل خارج بيته رؤساء كثيرون، لكنه في البيت يملك الفرصة لأن يمارس السلطة بلطف وأن ينال الاحترام الذي يستحقّه».⁹

وقبل أن أنتقل إلى الآراء الأخرى، أودّ أن أقول ما يلي: حتى ثمانينيات القرن العشرين قرأ جميع مفسّري الكتاب المقدس والمسيحيين تقريبًا الكتاب المقدس بهذه الطريقة نفسها. فهذا إذن رأي ينبغي أن يؤخذ بجديّة.

لكني أريد أن أكون صادقًا: إن هذا النهج سيكون موت زواجي! وبوصفي راعيًا لم أُنَبِّ هذا الرأي قطّ. ولا شكّ في أن لغرودم وبايبر خبرات حياتية مختلفة عن خبراتي. لكني لا أستطيع أن أتصوّر علاقة حميمة يتّخذ فيها شخص واحد كل القرارات التي تخصّ الطرفين أو معظمها. وأنا أصل إلى هذا الاستنتاج: إمّا أن الأزواج الذين يتبنّون هذا الرأي يفضّلون، بسبب تربيتهم أو ثقافتهم، «الزواج التقليدي» القديم، وإمّا أنهم يتكوّنون من زوج قائد بالفطرة وزوجة تابعة بالفطرة. لكن ليس كل زواج مفصّلًا على هذا النحو، ولا سيما زواجي أنا وجولي (Julie). ويسرّني أن الرعاية واللاهوتيين قدّموا في العقود الأخيرة صورة معدّلة من هذا الرأي. يسمّيها بعضهم «التكاملية الناعمة»، وأنا أسمّيها «الزوج صاحب الكلمة الفصل».

الرأي 2: الزوج صاحب الكلمة الفصل (في حالات نادرة)

في كتابهما الأكثر مبيعًا *The Meaning of Marriage* [معنى الزواج] يتبنّى تيموثي وكاثي كيلر (Timothy and Kathy Keller) صيغة أخفّ من الزواج التكاملي. ويخصّصان فصلًا كاملاً لكون بولس – على خلاف غرودم – يقدّم أدوار الجنسين في الزواج في العدد 21 تعبيرًا عن الخضوع المتبادل. ويعرّف الزوجان كيلر هذا الخضوع بأنه قرار خدمة الآخر بتواضع وإرضائه:

في فيلبي 2: 2-3 يقول بولس صراحة إنه ينبغي بين المسيحيين أن يكونوا «بتواضع، حاسبين بعضهم البعض أفضل من أنفسهم». ... ينبغي لنا أن نعدّ مصالح الآخرين أهمّ من مصالحنا. ويقول في موضع آخر إنه ينبغي ألا «نُرضي أنفسنا»، بل أن «نُرضي كل واحد منّا قريبه للخير لأجل البنیان. لأن المسيح أيضًا لم يُرض نفسه» (رومية 15: 1-3). بل إن بولس يطلب من المسيحيين أن يكونوا بعضهم لبعض «*douloi*» (غلاطية 5: 13) – حرفيًا: عبيدًا. ... وسواء كنّا أزواجًا أم زوجات، فينبغي ألا نعيش لأنفسنا، بل للآخر. وهذه أصعب مهمة للزوج أو للزوجة في الزواج، لكنها أيضًا أهمّها.¹⁰

وبحسب هذا الرأي ينبغي فهم الخضوع المتبادل في الاتجاهين: فبينما يدعو بولس في الأعداد 22-24 النساء إلى الخضوع لرجالهنّ، يشرح في الأعداد 25-29 للرجال كيف ينبغي أن يخضعوا لنسائهم (بمحبة باذلة).

وعلى الرغم من الخضوع المتبادل، يظلّ الزوجان كيلر يؤيّدان دور الزوج بوصفه رأسًا. ويفعلان ذلك بالانتقال من صياغة زوج في خضوع متبادل مع زوجته إلى صياغة زوج يخضع «لدور القائد الخادم».¹¹ (ولا بدّ لي أن ألاحظ هنا أن استعمال كلمة «يخضع» في هذا الموضع موضع تساؤل، لأن لها معنى مختلفًا عمّا لها في فكرة الخضوع المتبادل: فالخضوع **لدور** ليس على الإطلاق كالخضوع **لشخص**).

ومن حسن الحظّ أن الزوجين كيلر يتبنّيان نوعًا من القيادة أكثر لطقًا بكثير مما كان يُفهم في القرون الماضية من خضوع الزوجة: «حين لا يستطيع الطرفان الاتفاق، ولكن لا بدّ من اتخاذ قرار، يحقّ [للزوج] أن يُدلي بالصوت الحاسم، وأن يتحمّل (بذلك) المسؤولية الأكبر عن القرار».¹² ويصف تيموثي كيلر هذا في موضع آخر بأنه حقّ الزوج في «إبطال» اعتراضات زوجته بأن تكون له «الكلمة الأخيرة».¹³ وبعبارة أخرى: **عند الخلاف وحده، لا في القرارات اليومية، ينبغي للزوج أن يتخذ القرار.**

وبوصفي تكامليًا «ناعمًا» لسنوات طويلة، طبّقتُ هذا التعليم، كما فعل كثيرون غيري من أنصار هذا الاتجاه، بأن أقول مثلًا: «بين الحين والآخر، في حالات نادرة جدًّا، لا بدّ من اتخاذ قرار. فإن لم تستطعيا الاتفاق، فلتطلب المرأة من زوجها أن يتخذ قرارًا في هذا الأمر.» فصيقي آلان فرو (Alan Frow)، وهو راعٍ تكاملي مؤثّر في جنوب كاليفورنيا، يقول مثلًا إن كل القرارات تقريبًا في زواجه تُتخذ معًا؛ ويتابع: «أنا متزوِّج منذ 25 سنة، وفي هذه المدة لم تقل لي زوجتي إلا خمس مرات: "لا نستطيع الاتفاق. أنت القائد، فاذهب واطلب الله".»¹⁴

وفي زواجي أنا مرّت سنوات من غير أن أحتاج إلى استعمال «سلطة القرار» لديّ، لأننا كنّا نجد دائمًا توافقًا. لكن هذا يعني أيضًا أن «دوري القيادي» تجاه جولي، وواجبها في «الخضوع» لي، لم يكن لهما وجود عمليًا في خبرتنا المعيشة.

شكوك في نموذج «صاحب الكلمة الفصل»

بالنسبة إلى كثير من أنصار التكاملية الناعمة – وقد كنتُ أنا نفسي واحدًا منهم سنين كثيرة – لا يبدو أن العمل الشاقّ في تحديث موقفهم لاهوتيًا يستحقّ العناء. ففي كل يوم من أيام السنة تقريبًا يكون شكل زواجهم مطابقًا تمامًا لشكل زواج أنصار التبادلية. وفي الواقع ربما كنتُ سأتمسكُ برأي الزوجين كيلر مدة أطول (وأنا أتفهم آخرين ما زالوا يفعلون ذلك)، لو لم أبدأ أتساءل **هل حتى الصورة الناعمة من السلطة والخضوع هي حقًا مثال الله الأعلى لكل الزوجات**. بل إن لديّ في الواقع خمسة تحفّظات جدّية.

أولًا: حين نقدّم خضوع المرأة لسلطة زوجها على أنه المثال الأعلى، يصبح من الأسهل تجاهل إسهاماتها المهمة في الكنيسة وفي المجتمع. فعلى الرغم من الموقف المعتدل للتكاملين حين يؤكّدون أن خضوع المرأة يقتصر على زوجها وحده لا على جميع الرجال، فإنهم يستعملون هذه النقطة مع ذلك للاحتجاج بأن النساء اللواتي يحتجن إلى القيادة في البيت لا ينبغي أن يتولّين دورًا قياديًا في الكنيسة.¹⁵ ففرو مثلاً يقول بحقّ تمامًا إن الأدوار في الزواج داخل العائلة «مرآة سرّية»¹⁶ للعلاقة بين المسيح والكنيسة. ومع أنه يقرّ بأنه يجوز للنساء أن يتولّين مهام قيادية في المجتمع، فإنه يخلص إلى أنه «في عائلة الله ينبغي أن يصير هذا الانعكاس السري منظورًا».

ولكن هل هذه القفزة مبرّرة؟ في أفسس 5 يقول بولس إن وحدة الرجل والمرأة «سرّ» يشير إلى الوحدة بين المسيح والكنيسة. فلماذا يرى التكامليون إذن أن لهم الحرية في نقل هذا «السّر» جملةً إلى جماعة بأكملها، بحيث يمثّل الشيوخ الذكور بطريقة ما يسوع بوصفه الزوج (ومن ثمّ يجب أن يكونوا ذكورًا)، بينما تمثّل بقية الكنيسة العروس (وهذا يحيد على نحو غريب عن التشبيه، لأن النساء والرجال كليهما مشمولون بها)؟ وفضلاً عن ذلك، فإن فكرة أن شيوخ الكنيسة يمثّلون زوج الكنيسة فكرة خطيرة وغير كتابية – ولا سيما أن يسوع وحده بوضوح يشغل هذا الدور. وإذا تابعنا التفكير في التشبيه بين الزواج والكنيسة، فينبغي لقادة الكنيسة على الأكثر أن يتّخذوا دور صديق العريس يسوع، كما فعل يوحنا المعمدان في يوحنا 3: 29.

ثانيًا: تساءلتُ لماذا ينبغي لبولس – بحسب الرأي التكاملي في الزواج – أن يقدّم بالذات ذلك النظام الهرمي الذي لم ينشأ إلا بسبب السقوط مثلاً أعلى، وهو السقوط الذي أعلن الله عواقبه لا وعدًا، بل إنباءً مشؤومًا: «وهو يسود عليك».¹⁷

ثالثًا: يصدمني مرارًا وتكرارًا مدى تكرار الإساءة من أحد الشريكين في الزوجات المسيحية، كما هو ثابت بالأدلة. فعلماء اجتماع مثل إيلين ستوركي (Elaine Storkey) يرون أنه ليس من المفيد على الإطلاق أن يُعلّم خضوع المرأة بوصفه معيارًا مفروضًا من الله. فحتى حين يسمع الأزواج أن عليهم أن يمارسوا سلطتهم «بلطف»، فإن فكرة السلطة الذكورية المفروضة من الله تشجّعهم أحيانًا على «الإيمان صراحةً أو من غير وعي بامتيازات الذكور واستحقاقاتهم. وبذلك يطالب الرجال بحقوق في حرّيات ومكانة وآراء لا تسري على شريكاتهم».¹⁸ وما لم يكونوا من أكثر أصناف الأزواج قداسةً، فإنهم يميلون – إذ لا يرون شريكاتهم مساويات لهم حقًا – إلى معاملتهم على أنهم أدنى، ولو قليلًا.¹⁹

وفي أفريقيا، حيث أعيش، يبلغ حجم العنف القائم على النوع الاجتماعي حدًا مروّعًا حقًا. لقد سمعتُ قصصًا عن أزواج مسيحيين يضربون زوجاتهم بسبب العصيان (بل عن راعٍ يضرب امرأة من كنيسته لأنها تعصي زوجها). وفضلاً عن ذلك تُظهر بعض الدراسات²⁰ أن تعليم خضوع المرأة يزيد من احتمال أن تبقى المرأة المُساء إليها في زواج عنيف. ثم إن الكنائس التي تلجأ إليها طلبًا للمساعدة كثيرًا ما تنصحها بعدم الانفصال

عن معذبها. فتساءلت: إن كان هذا التعليم هو مثال الله الأعلى، فلماذا يحدث الضرر كثيرًا هكذا ما إن يبلغ آذانًا مسيحية؟

رابعًا: مهما فضلتُ التكاملية الناعمة على صورة أكثر قسوة منها، فقد اضطررتُ إلى الإقرار بأنها خلق جديد تمامًا. فإن كان التفسير الذي يؤدي إلى الزواج التكاملي المعتدل لا يتجاوز عمره نحو نصف قرن، فهو أحدث حتى من التفسير الذي يؤدي إلى الزواج القائم على التبادلية. ومع أنني ممتنّ لهذه التكاملية الناعمة الجديدة على طريقة الزوجين كيلر، فلا بدّ لي أن أوافق لاهوتيين تكامليين مثل غرودم وراسل مور (Russell Moore) حين يلمّحون إلى أن هذا النهج يشبه في الواقع الزواج القائم على التبادلية أكثر مما يشبه الزواج التكاملي. فإن كان التفسير الرصين للنصّ يتطلب أن أكون أنا من يتّخذ القرارات بانتظام وأن تخضع لي زوجتي، فإننا في الحقيقة لم نعش قطّ زواجًا «كتابيًا»، بل بالأحرى زواجًا «يدعم الخضوع المتبادل ضمن شراكة زوجية متساوية»، تتّخذ فيه القرارات «من خلال عملية للتوصل إلى توافق» - وهكذا يعرف مور الزواج «النسوي»، لا الزواج «الكتابي» أو التكاملي قطعًا.²¹ فإن كان غرودم (والرأي التاريخي) على حقّ، فإمّا أن الله يريد أن أغيّر سلوكي وأن أتخذ مزيدًا من القرارات نيابةً عن زوجتي، وإمّا أن عليّ أن أغيّر لاهوتي. أما الاستمرار في العيش على نحو يناقض ما نؤمن به، فسيكون تناقضًا محضًا.

خامسًا: ليس هناك في رأيي جواب مُرضٍ عن السؤال: «لماذا ينبغي للمرأة أن تخضع؟» قد يبدو الرأي 1 لكثيرين منّا اليوم غريبًا، لكنه كان طوال قرون منطقيًا تمامًا: ففي الثقافة وفي التعليم الكنسي ساد الاقتناع بأن النساء أدنى من الرجال، ولذلك ينبغي أن يُقدن لخيرهنّ. ولكن منذ ستينيات القرن العشرين تجاوز الزمن هذه التصوّرات في الثقافة وفي الكنيسة على السواء. فكلّنا نعرف نساءً كثيرات أذكى من أزواجهنّ وأكثر حسماً في اتخاذ القرار. فلا يمكن إذن أن يكنّ أدنى في اتخاذ القرارات. فلماذا إذن؟

لدى الزوجين كيلر جواب عن ذلك: «الجواب عن هذا السؤال سؤال مضادّ: "لماذا سلّم المسيح السلطة للآب؟". ففي رأيهما ينبغي أن يعكس خضوع المرأة لسلطة زوجها العلاقة بين المسيح والآب. لكن هذا، كما سبق أن شرحتُ في الفصلين 3 و6، يقدّم العلاقة الثلاثية تقديمًا خاطئًا. وفضلاً عن ذلك فإنه يتغافل عن أن الكتاب المقدس لا يساوي في أي موضع بين تسليم الابن السلطة للآب وتسليم المرأة السلطة لزوجها.

ويقدّم جون بايبر جوابًا آخر: إن خضوع الزوجة المسيحية لزوجها يمثّل أمام العالم المراقب خضوع الكنيسة للمسيح. يبدو هذا جميلًا، لكن عند التدقيق يتبيّن أنه لا يصلح إلا مع الرأي 1، حيث يقود الرجل زوجته كل يوم من أيام حياتها. أما الرأي 2 فتمثّل رديء لقيادة المسيح للكنيسة - فإن كان يسوع ربّنا، فإننا نرضى بقيادته اليومية، لا باتخاذ قرارات مشترك لطيف لا نسمح فيه ليسوع بأن يلعب ورقته الراحلة إلا بين حين وآخر، حين لا نستطيع الاتفاق.

ومع أن لاهوتيين مثل كيلر وبايبر يجتهدون في تقديم أسباب لاهوتية، فإن كثيرًا من الرعاة، الذين كثيرًا ما يكونون ذوي نزعة عملية، يبررون سلطة الزوج بالحجّة التالية: بما أن كل ما له رأسان وحش، فمن المهم أن نعرف من سيحمل في النهاية «الورقة الخاسرة» (Schwarzer Peter - في لعبة ورق ألمانية: الورقة التي يخسر من تبقى في يده) [أي المسؤولية]. لكنني لا أستطيع أن أقبل هذا السبب. وأودّ أن أشرح لماذا.

«من سيجمل في النهاية الورقة الخاسرة؟»

هل يجب حقًا في علاقة بين اثنين أن يحمل شخص واحد فقط المسؤولية دائمًا، وإلا انهيار الزواج؟ أنا أفهم أن الفريق الرياضي يحتاج إلى قائد، والجيش إلى جنرال، والشركة إلى مدير تنفيذي. لكن شخصين في اتحاد «الجسد الواحد»، يعيشان معًا في الوضع المثالي، كما جاء في التكوين 2: 25، «عريانين» أو مكشوفين عن قصد أحدهما للآخر، لا يحتاجان بالتأكيد إلى قائد! بل يجب عليهما أن يلتزما التزامًا كاملاً بأن يحب أحدهما الآخر ويخدمه بوصفهما شريكين متساويين.

يصوغ كتاب **Love and Respect**، وهو كتاب مسيحي شديد التأثير في موضوع الزواج، الحجّة على النحو التالي: «الزواج الذي له رأسان متساويان محكوم عليه بالفشل. وهذا أحد الأسباب الجوهرية لطلاق كثير من الناس اليوم.»²² ولكن أين الأدلة على هذا الادعاء الغريب؟ كنتُ أودّ أن أقرأ مزيدًا من الدراسات في هذا الموضوع. فدراسة حديثة شملت 21,000 امرأة مسيحية متزوجة ومطلقة ممن يواظبن على الذهاب إلى الكنيسة تصل إلى نتيجة معاكسة: «الأزواج الذين يتخذ فيهم أحد الشريكين القرارات - حتى إن ناقشها مسبقًا مع الشريك الآخر واستطلع رأيه - يطلّقون أكثر بـ 7.4 مرات من الأزواج الذين يتقاسمون سلطة القرار.»²³

يعرف كثير من المسيحيين هذا بالحدس، بغضّ النظر عن آرائهم اللاهوتية. فمن بين آلاف المشاركات في الاستطلاع اعتقدت نحو 40 % أن للزوج سلطة القرار الفاصل، بينما رأت نحو 60 % أنه ينبغي للزوجة أن تحب زوجها بأن تخضع له. ومع ذلك فإن 17.3 % فقط من الأزواج يتصرّفون فعليًا على نحو تكون فيه الكلمة الأخيرة للرجل. وفي المقابل تسير 78.9 % من الزيجات من دون سلطة قرار فاصل، أي إن الشريكين يتخذان القرارات معًا، أو يؤجّلانها حين لا يتفقان.

نحن هنا أمام معضلتين يفضّل رعاية مثلي ألا يعترفوا بهما. أولًا: هناك فجوة بين قناعات الناس الذين نقودهم وسلوكهم. فمعظم المسيحيين يعتقدون أن الزوج هو من يتخذ القرارات أو يحسم الأمر عند الخلاف، لكن معظمهم لا يتصرّفون بحسب ذلك. ثانيًا: «مع أن كثيرًا من الأزواج المسيحيين يعتقدون أن للأزواج سلطة القرار، فإن هذا الاعتقاد لم يضّر الزوجين إلى أن طُبّق عمليًا.» فهل ينبغي لرعاة مثلي أن يصوّروا على أن يبدأ شعب الله بممارسة ما يؤمن به، أم نعيد النظر في ما علّمناهم أن يؤمنوا به؟ إن كنتُ بوصفي راعيًا أريد حقًا الخير للأزواج الذين أقودهم، فعليّ أن أواجه بعض الحقائق القاسية:

حين تشعر النساء بأنه لا يُصغى إليهنّ، وبأن رأيهنّ ليس بأهمية رأي أزواجهنّ، يرتفع احتمال الطلاق 26 ضعفًا. ... وحتى حين يسأل الرجل زوجته عن رأيها، ففي الزيجات التي تكون فيها سلطة القرار له، يكون لرأيه بحكم التعريف وزن أكبر من رأيها. وحين تشعر النساء بأن رأيهنّ ليس له الوزن نفسه الذي لرأي أزواجهنّ، يرتفع احتمال انهيار الزواج.²⁴

وعلى العكس من ذلك، للتبادلية في الزواج فوائد واضحة: «لدى الأزواج الذين يتخذون القرارات معًا، تعدّ الزوجات أنفسهنّ من بين أسعد 20 % من الزيجات أكثر بأربع مرات مما يعددن أنفسهنّ من بين أتعس 20 %. وفضلًا عن ذلك، فإن احتمال بلوغهنّ النشوة كثيرًا في العلاقة الجنسية أعلى بنسبة 67 %»²⁵ وتؤكّد نتائج هذا الاستطلاع أن أفضل الزيجات (والزيجات ذات الحياة الجنسية الأفضل) هي تلك التي تُحلّ فيها المشكلات معًا عن قصد، والتي يأخذ فيها الطرفان عند الخلاف الوقت والعناية اللازمين للتوصل إلى اتفاق.

أستطيع أن أفهم أن قائد فريق قيادي مكوّن من عشرة أشخاص مثلاً قد يحتاج أحيانًا إلى أن يكون صاحب القرار الفاصل. لكن علينا أن نحذر من نقل ديناميكية اتخاذ القرار في شركة إلى زواج لا يتكوّن إلا من

شخصين، يرتبطان على مستوى إنساني شخصي أكثر بكثير مما يرتبطان على مستوى وظيفي، وقد التزما بشركة نفس.

ثم كم مرة يجد الزوجان نفسيهما في وضع يجب فيه اتخاذ قرار مهم من غير أن يكون لذيها وقت للتوصل إلى اتفاق؟ عادةً يكون هناك وقت كافٍ لاتخاذ القرار. أو يثق الزوجان بالشريك الأقوى اقتناعًا أو الأكثر خبرة في المجال المعني. فإن لم يتفق الزوجان مع ذلك، فهذا يدل على أن كليهما مقتنع برأيه. وأن يفرض الزوج رأيه في هذه اللحظة بالذات، حين تكون الآراء في أشدّ تباعدها، يبدو لي أسوأ الحلول! أليس هناك سبيل أمام الزوجين لمناقشة هذا الأمر حتى يتوصلا إلى توافق؟ فإلى أن يتضح الأمر، من الأفضل مواصلة الحديث، وفي أثناء ذلك ينبغي للزوج والزوجة كليهما أن يبحثا في الصلاة عن أفضل حلّ، وأن يطلبوا المشورة من الآخرين، وأن يجتهدا في الإصغاء حقًا أحدهما إلى الآخر.²⁶

تقودني خبرتي إلى الاستنتاج التالي: إن استعملتُ سلطتي بالضبط حين يكون لزوجتي رأي مقتنعة به إلى حدّ أنها تعارضني، فهذا بمثابة تخريب للعلاقة. وعلى خلاف آلان فرو، الذي يتذكّر خمس حالات طلبت منه فيها زوجته أن يلعب الورقة الرابعة، لا أتذكّر إلا حالة واحدة اتخذتُ فيها قرارًا مهمًا على الرغم من تردّد جولي. لكن حتى في هذه الحالة بعينها، كانت تثق باقتناعي أكثر من أن تقبل سلطتي فحسب. وحين أفكّر في الأمر، أتذكّر مواقف كثيرة أخرى حاولتُ فيها أن أتخذ قرارًا نهائيًا خلافًا لرأيها، فلم ألقَ إلا معارضة حازمة منها. ولحسن الحظّ أصغيتُ إليها في كل مرة، وأجلّنا القرار النهائي. وحين أنظر إلى الوراء، أعتقد أنني كنتُ سأدّمر ثقتها لو حاولتُ أن أفرض سلطتي على الرغم من تحفّظاتها المشروعة.

أريد بهذا أن أقول إن شكوكًا جدية في الرأي 2 ساورتني! وكلما تقدّمتُ في السنّ ورافقتُ مزيدًا من الأزواج بوصفي راعيًا وصديقًا، صار من الأصعب عليّ أن أتجاهل هذه التحفّظات. وقد وصلتُ إلى هذا الاستنتاج: إن الطريقة التي نعيش بها أنا وجولي زواجنا أمام الله، والطريقة التي نعلّم بها أولادنا أن يعاملوا أزواجهم وزوجاتهم وأن يدعوهم يعاملونهم، موضوع محوري إلى حدّ أن من الأفضل مواجهة نقاط الضعف حتى في رأي «صاحب الكلمة الفصل»، والانفتاح على تفسيرات أخرى ممكنة لأفسس 5. وحين فعلتُ ذلك، اكتشفتُ من جديد متعة ألا أقرأ النصوص الصعبة مثل أفسس 5 قراءة سطحية فحسب، بل أن أحفر أعمق، وألا أسأل فقط عما يقوله النصّ، بل أيضًا عن سبب قوله ذلك وعمّن كان موجّهًا إليهم في الأصل.

الرأي 3: الزوج خادمًا لشريكته المساوية له

قبل أن أتناول هذا الرأي الثالث بالتفصيل، كنتُ أفترض أنه محاولة واضحة تمامًا للالتفاف على التعليم الواضح في أفسس 5. وكنتُ سأوافق فرو الذي يظنّ أن وراءه سعيًا إلى «لي» نصّ الكتاب المقدس تفسيريًا. وحين تناولتُ هذا الرأي أخيرًا بالتفصيل، وجدتُ بدهشة أنه مقنع فعلاً – ليس حالة من البهلوانيات التفسيرية، بل ثمرة العمل الدقيق الشاقّ الذي تشتدّ الحاجة إليه، والذي يتطلّب التفسير الرصين. فاللاهوتي فيليب باين (Philip Payne) يقدّم عدة ملاحظات على أفسس 5 تجعل من المرجّح جدًّا أن بولس يسعى فعلاً إلى المساواة والتبادلية أساسًا للزواج، لا – كما توحى القراءة السطحية – إلى القيادة والخضوع.

أولًا، يضع بولس الزواج المسيحي في سياق الخضوع المتبادل. فبحسب باين، إن الجمع بين كلمة «يخضع» (بمعنى «أن يضع المرء نفسه تحت آخر») والتعبير التبادلي «بعضكم لبعض» (باليونانية: ἀλλήλοις، allelois) من أكثر تعاليم بولس ثورية اجتماعيًا وإبداعًا لغويًا. ففي العهد الجديد تعني كلمة «يخضع» (باليونانية: ὑποτάσσω، hypotasso) في الغالب أن يذعن المرء لسلطة آخر. لكن بولس، بربطها بعبارة «بعضكم لبعض»، يجعل هذا الخضوع متبادلًا، وينقل بذلك معناه من الاعتراف بسلطة الآخر إلى وضع

النفس في خدمته. وهذا يطابق تمامًا ما كتبه بولس قبل ذلك إلى المسيحيين في أفسس: أن يكونوا «محتملين بعضكم بعضًا في المحبة» (2: 4)، وأن يكونوا «لطفاء بعضكم نحو بعض، شفوقيين»، «متسامحين» (4: 32). والسبب الذي يذكره بولس لذلك هو أننا نخضع بعضنا لبعض «في خوف المسيح» (5: 21 ELB، ترجمة ألمانية للكتاب المقدس). وهذا يشير إلى بداية الأصحاح، حيث يُعرض أن المسيح وضع نفسه في خدمتنا: «المسيح أيضًا أحبنا وأسلم نفسه لأجلنا ... قريبًا وذبيحة لله رائحة طيبة» (5: 2).

أما التكامليون المتشدّدون الذين يتبنّون الرأي 1 فيعترضون على ذلك: فكلّ من واين غرودم وكيفن دي يونغ (Kevin De Young) يحاول أن يدحض المعنى التبادلي – أي أن الرجل أيضًا ينبغي أن يخضع لزوجته. ويقولان إن «بعضكم لبعض» قد تعني أيضًا «بعضهم لآخرين». فغرودم مثلًا يشير إلى استعمال العبارة في «أن يقتل بعضهم بعضًا» (رؤيا 6: 4)، ويقول إن هذا يعني أن «بعض الرجال سيقتلون رجالًا آخرين». لكن لو أراد كاتب سفر الرؤيا أن يقول فقط إن بعض الرجال يقتلون آخرين من غير أن يُقتلوا هم، لما استعمل كلمة «بعضهم بعضًا» أصلًا. ويشير دي يونغ إلى نصوص أخرى تُستعمل فيها عبارة «بعضكم لبعض»²⁷ لا تتضمن في رأيهِ تبادلاً. لكنها عند التدقيق تتضمنه بالتأكيد، كما يتضمنه كل استعمال آخر لعبارة «بعضكم لبعض» في الرسالة إلى أفسس وفي العهد الجديد كله. إن محاولات غرودم ودي يونغ لجعل الخضوع «بعضكم لبعض» يسير في اتجاه واحد فقط (من المروّوس إلى صاحب السلطة) تفشل. بل إن لاهوتيين تكامليين بارزين مثل جورج نايت (George Knight) وتوم شراينر (Tom Schreiner) لهم رأي مختلف في هذه النقطة.²⁸

ثانيًا: يحدّد بولس نوع الخضوع الذي يتوقّعه من النساء. وكما ذكر سابقًا، هناك نوعان من الخضوع. فمن جهة هناك **الخضوع الطائع** من مروّوس تجاه سلطة، كخضوع المواطن لحكومته مثلًا.²⁹ ثم هناك **الخضوع الخادم**، الذي يقصده بولس، كما رأينا، حين يتحدّث عن الخضوع المتبادل.³⁰ الأول أحادي الجانب ويمكن المطالبة به. أما الثاني فيمكن أن يكون متبادلاً، وهو دائماً طوعي.

فحين يقول بولس للنساء أن يخضعن لأزواجهنّ، فأيّ نوع من الخضوع يقصد؟ يتوقّف جوابنا عن هذا السؤال على الترجمة المعنوية. فإن فتحنا أيّ كتاب مقدس [ألماني]، نرى في نهاية العدد 21 نقطة، ثم تبدأ فقرة جديدة تمامًا. بل إن بعض الترجمات تضيف عنوانًا بين العددين 21 و22، مثل «**الرجل والمرأة في نظام الله للحياة**» (SLT، ترجمة ألمانية للكتاب المقدس). لكن تغيير الفقرة هذا أو العنوان المضاف يجب أمرًا مهمًا جدًّا: ففي اليونانية لا توجد نقطة بين العدد 21 والعدد 22.

بل في الواقع – وهذا ما أذهلني – لا ترد كلمة «يخضع» في العدد 22 أصلًا في أقدم المخطوطات اليونانية التي لدينا. والسبب أن العدد 22 يستعير الفعل من العدد 21. فالنصّ اليوناني يقول حرفيًا: «خاضعين بعضكم لبعض في خوف المسيح، النساء [لاحظوا الكلمة الغائبة] لرجالهنّ ...». وبعبارة أخرى: حين يقول بولس للنساء هنا أن يخضعن لأزواجهنّ، فإنه يشير إلى النوع نفسه تمامًا من الخضوع الذي ينبغي أن يقدمه جميع المؤمنين بعضهم لبعض. فهو لا يقول هنا إن النساء ينبغي أن يكنّ خاضعات لأزواجهنّ بطريقة خاصة. بل يشير إلى النوع الثاني من الخضوع [الخضوع الخادم]، الذي تختار فيه الزوجات أن يخدمن أزواجهنّ بتواضع وأن يحسنّ إليهم. ويستعمل كلمة «يخضع» مرة أخيرة في الجملة نفسها، ليشير بعد ذلك إلى خضوع الكنيسة للمسيح. وعلى خلفية استعمال كلمة «يخضع» في العددين 21 و22، ينبغي أن نقرأ ذلك هكذا: «كما أن الكنيسة تخدم المسيح بتواضع وتعيش لإرضائه في كل شيء، كذلك النساء أيضًا يخدمن أزواجهنّ بتواضع ويعشن لإرضائهم في كل شيء» (عدد 24).³²

ثالثًا، الأرجح جدًا أن «الرأس» (باليونانية: κεφαλή, *kephalē*) لا تعني في هذه الحالة **السلطة**، بل **مصدر الحياة**. ففي الألمانية الحديثة تدلّ كلمة «الرأس» (*Haupt*) مجازيًا على السلطة – فالمدير التنفيذي هو «رأس» الشركة، والضابط القائد هو «رأس» الوحدة. وفضلاً عن ذلك، حين نتصوّر رأسًا حرفيًا لجسد حرفي، فإننا نحن البشر المعاصرين نفترض أن الرأس، الذي يحتوي على الدماغ، هو مركز التحكم في الجسد. فهو يرسل الأوامر إلى الجسد عبر الجهاز العصبي.

علينا أن نطرح السؤال: ماذا قصد بولس حين اختار كلمة *kephalē*، وكيف فهمها قراءه الأصليون على الأرجح؟ يحتجّ اللاهوتيون التكامليون بأن بولس يقارن المسيح بوصفه الرأس بالزوج، ويقصد بذلك سلطة الزوج. لكن يُعقّل في ذلك أن بولس، حين يستعمل الكلمة استعاراً، لا يكون على الأرجح قاصداً هذا المعنى أصلاً. نعم، لقد فهم بولس أن ليسوع المسيح سلطة على الكنيسة وعلى الخليقة، لكنه حين يصف يسوع بأنه *kephalē* الجسد، يُبرز عادةً أمراً قريباً من السلطة، لكنه لا يعني الشيء نفسه بالضبط. وفي الملحق 3، «ماذا تعني *kephalē* (الرأس)»، الذي ينبغي لكم أن تقرؤوه حتماً، أشرح أن الكلمة في زمن بولس، خلافاً لادعاء غرودم، لم تكن تعني السلطة عادةً.

فأني معنى يعطيه بولس لهذه الكلمة في أفسس 5؟ أهمّ مؤشر هو أنه يستعملها جزءاً من تشبيه للزواج – وذلك بوصفه ابتكاراً لغوياً جديداً تماماً: **الرجل هو رأس المرأة التي هي جسده**. ولا تُستعمل الكلمة اليونانية لـ«الرأس» إلا مرتين في سياق العلاقة بين الرجل والمرأة (هنا وفي 1 كورنثوس 11: 3). ويختلف علماء اللغة في معنى الكلمة في الحالتين. وأنا أعلّل في الفصل 6 الرأي القائل إنها تعني في 1 كورنثوس **مصدر الحياة الجدير بالكرامة**. وفي أفسس 5 وحدها تُستعمل الكلمة في سياق استعارة الرأس-و-الجسد. فهل يعطينا بولس أيّ دلائل على ما يقصده بعبارة «رأس المرأة التي هي جسده»؟

نعم، إنه يفعل! فبنية الجملة اليونانية الأصلية في العدد 23، التي ضاعت للأسف في معظم الترجمات، هي: «الزوج رأس الزوجة، ... المسيح رأس الكنيسة، **وهو نفسه مخلص الجسد**». ففي اليونانية يتّضح ما يقصده بولس بـ«الرأس». فهذه العبارات الثلاث المتوازية توضح أن بولس يستعمل «الرأس» مرادفاً لـ«المخلص». ولو أراد بولس أن يؤكّد سلطة الرجل، لاستطاع أن يستعمل إحدى الكلمات اليونانية الكثيرة الدالة عليها: *kyrios* (ربّ/سيد)، أو *exousia* (سلطة)، أو *proestōtes* (يرأس/يقود). لكنه بدلاً من ذلك يختار استعارة الرأس والجسد ويقارنها بالمسيح الذي يبذل نفسه بوصفه مخلص جسده (لا بوصفه ربّه في هذه الحالة). فمن الناحية اللاهوتية المسيح مخلص وربّ معاً، لكن بولس لا يضع في هذا التشبيه إلا معنى **المسيح بوصفه مخلص جسده**. وإن ساورنا شكّ في أن رئاسة الزوج تعني هنا رعايته وخدمته، فإننا نجد فكرة الرعاية والخدمة مرة أخرى في الأعداد التالية، وإن كانت محجوبة قليلاً بإدخال بولس استعارة أخرى، هي استعارة عرس المسيح بعروسه، الكنيسة:

المسيح [قد] أسلم نفسه لأجلها [عروسه/جسده]، لكي يقدّسها [عروسه/جسده]، بعد أن طهرها [عروسه/جسده] بغسل الماء بالكلمة، لكي يحضرها [عروسه/جسده] لنفسه كنيسةً مجيدة، لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك، بل تكون مقدّسة وبلا عيب. كذلك يجب على الرجال أن يحبّوا نساءهم كأجسادهم؛ من يحبّ امرأته يحبّ نفسه. فإنه لم يبغض أحد جسده قطّ، بل يقوته ويربّيه، كما الرب أيضاً للكنيسة.

أترون؟ في هذا المقطع كله لا يضع بولس **الثقل على السلطة**، بل **على الخدمة والرعاية**. فحين يقول إن الرجل رأس المرأة، لا يقصد أن على الأزواج أن يمارسوا سلطتهم على زوجاتهم. بل يقصد أن **على الأزواج أن يخدموا زوجاتهم**، كما يخدم كلّ منا جسده.

بعد أن عرض بولس في الأعداد 21-30 هذه الاستعارة الثلاثية (الرأس-الجسد؛ الرجل-المرأة؛ المسيح-الكنيسة)، يضيف مستوى آخر: وحدة آدم وحواء قبل السقوط. وهذا وإن كان يعقّد الصورة التي رسمها، فإنه يعبر عن فكرة رائعة: «من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحداً». هذا السرّ عظيم، ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة» (عدد 31-32). فبتشبيهه الزوج بالرأس وزوجته ببقية الجسد، يُلقي بولس نظرة إلى الوراثة على الزواج الأول على الإطلاق بين آدم وحواء، حين تمتّع لأول مرة بـ«وحدة الجسد الواحد» المجازية. وكما رأينا في الفصل 4، لم يكن هذا الاتحاد يدور حول السلطة والخضوع، بل حول ألفة مُبهجة وشراكة. فباستعارة الرأس والجسد لا يؤكّد بولس في أفسس 5 تسلسلاً للأوامر، بل رباطاً من المحبة.

وأودّ أن أضيف ملاحظة أخيرة تنتج عن قراءة أفسس 5 التي ترى أن الله يدعو الزوج إلى أن يخدم زوجته (لا أن يقودها): لا يوجد في هذا المقطع توجيه واحد للزوج بأن يقود زوجته – لا هنا ولا في أي موضع آخر من الكتاب المقدس كله! اقرؤوا هذه الجملة مرة أخرى إن شئتم. فهذا يغيّر التفسير تغييراً جذرياً.

كل هذا يقودنا إلى الاستنتاج المهم أن أفسس 5 ربما لا يدور أصلاً حول سلطة الرجل على زوجته الخاضعة له. بل يؤكّد بولس، من خلال استعارات حيّة، أن على الزوج والزوجة أن يتّحداً بمحبة، وأن يخدم أحدهما الآخر ويحسن إليه.

فهل يعني هذا أن بولس يدعو الأزواج والزوجات إلى أن يعامل أحدهما الآخر بالطريقة نفسها تماماً؟

نعم ولا. نعم، لأن كليهما مدعو إلى «الخضوع بعضهما لبعض». ومع أن الأزواج وحدهم يُقال لهم هنا أن «يحبّوا» زوجاتهم، فإن على كليهما أن يحبّ أحدهما الآخر – ففي موضع آخر يدعو بولس النساء صراحةً إلى أن «يحببن رجالهنّ».³³ ولكن لا أيضاً، لأن بولس ربما يضع في ذهنه الأنماط التي لاحظها في زيجات كثيرة جدّاً في كنائس العالم اليوناني الروماني. فلاحظوا مثلاً أن الزوج يوصف بأنه *kephalē* أو مصدر حياة، لا أنه يُدعى إلى أن يكون كذلك. فبولس يتناول على الأرجح حقيقة أن الزوجات في العصور القديمة كنّ في الغالب أصغر سنّاً وأقلّ تعليمًا. وكنّ منشغلات بتربية الأولاد، ومن ثمّ معتمدات كلياً على الإعالة الاقتصادية والمادية من أزواجهنّ. فلم يكن لوصف زوجة معتمدة على غيرها بأنها *kephalē* أيّ معنى.

ويُضاف إلى ذلك: إن كان الأزواج في زمن بولس يشبهون إلى حدّ ما كثيرًا من الأزواج الذين أعرفهم اليوم، فقد كانوا (في المتوسط) أقلّ استعدادًا من زوجاتهم لبذل حياتهم لأجل شريكات حياتهم.³⁴ ولهذا السبب يرى بولس أنه يكفي أن يقول للنساء أن يخضعن لأزواجهنّ، أي أن يخدمنهم بتواضع ويحسنّ إليهم. ثم يشرع في زعزعة أنانية الرجال، فيقول لهم ثلاثة أضعاف ذلك، ويحثّهم على تقديم التضحيات كما فعل المسيح. وهذا ينطبق عليّ أنا بكل تأكيد: ففي زواجي ليست جولي من تحتاج أكثر من غيرها إلى أن يُحَثّ بالكتاب المقدس وبعمل الروح القدس المستمرّ على خدمة شريكه بتضحية وتواضع والإحسان إليه، بل أنا. وأظنّ أن صديقي أندرو بارتليت (Andrew Bartlett) مصيب في استنتاجه: «يدعو بولس الزوج إلى أن يتقدّم في بذل الذات. وهذا وإن كان لا يختلف جوهرياً عن الالتزام المسيحي للزوجة بأن تحبّ زوجها محبة غير أنانية، فإنه يكثّف مسؤولية الرجل عن المحبة».³⁵

وفي العدد 33 يدعو بولس الرجال صراحةً إلى أن «يحبّوا» زوجاتهم (لا أن يقودوهنّ)، ويحثّ النساء خصوصًا على أن «يحببن» أزواجهنّ أو يحترمنهم (لا أن يخضعن لهم). فلماذا يدعو النساء إلى احترام أزواجهنّ، والأزواج إلى محبة زوجاتهم؟ مع أن معظم النساء آنذاك كما اليوم أردن أن يُحترمن أيضًا، ومعظم الأزواج تمّنوا المحبة، فإن بولس كان يعرف على الأرجح شيئًا عن النفسانيّات المختلفة لكثير من الرجال والنساء في زمنه.

وبينما أصف الرأي 3، أي الزوج خادمًا لشريكته المساوية له، أشعر بقوة هذا الرأي. وبصراحة، آمل أن يكون هذا هو التفسير الصحيح، لأنني أجده ملهمًا ومتحديًا جدًا. فعلى خلاف رأي غرودم، الذي يكون فيه الزوج صاحب القرار اليومي (وأراه رديئًا)، ورأي الزوجين كيلر، الذي يحسم فيه الزوج الأمر في حالات نادرة (وأراه أفضل، لكنه ما زال إشكاليًا وفوق ذلك غير متسق)، أجد هذا الرأي جيدًا وعمليًا للغاية.

ولكن ماذا لو أراد بولس في هذا المقطع فعليًا أن يلمح إلى أن على الزوجات في أفسس أن يعترفن لأزواجهنّ بنوع ما من السلطة، حتى وإن كان يوازن ذلك بدعوة الأزواج إلى التضحية بمحبة؟ ففي النهاية، إن تشبيه الزواج بالزواج الإلهي، الذي يوجد فيه قطعًا فرق في المرتبة بين الله/يسوع وبيننا، يوحي على الأقل بوجود تراتبية في العلاقة الزوجية. وعازمًا على فهم هذا المقطع فهمًا صحيحًا، واصلتُ التفكير فيه. وتساءلتُ هل طبّقتُ على هذه المهمة كل المبادئ المهمة لتفسير الكتاب المقدس – ثم وجدتُ أنني لم أفعل.

الرأي 4: الزوج ربّ الأسرة المفديّ، *Paterfamilias

كما ذُكر سابقًا، من أكثر الأخطاء شيوعًا التي نرتكبها في سعيينا إلى فهم الكتاب المقدس وتطبيقه أن نتوهم أن أجزاء ه المختلفة كانت موجّهة إلينا مباشرة. لكنها لم تكن كذلك: ربما كُتبت من أجلنا، لكنها لم تكن موجّهة إلينا. ولا نستطيع، نحن الذين نعيش في وضع أو ثقافة مختلفة تمامًا، أن نبدأ في استخراج معنى لأنفسنا من النصّ، إلا إذا فهمنا وضع القراء الأصليين، وعرفنا ما فهموه من الكلمات. ففي كثير من النصوص، إن لم يكن في معظمها، يمكن مقارنة وضعنا اليوم بوضع القراء الأوائل، فتسهل هذه المهمة. ولكن ماذا لو كان وضعهم مختلفًا اختلافاً كبيرًا جدًا عن وضعنا؟

يفصل بين المسيحي اليوم وبين الجمهور الكتابي «نهر» من الاختلافات (مثلًا في اللغة والثقافة وظروف الحياة). وهذا النهر يمنعنا من الانتقال مباشرة من المعنى في سياقهم إلى المعنى في سياقنا نحن. نحن بالتأكيد جزء من القصة الكبرى نفسها، لكن موضعنا في هذه القصة كثيرًا ما يختلف عن موضع أسلافنا الروحيين. فأحيانًا يكون النهر عريضًا ويحتاج عبوره إلى جسر طويل. وأحيانًا يكون جدولًا ضيقًا نعبره بسهولة. وعلينا أن نعرف مدى عرض النهر قبل أن نحاول بناء جسر فوقه، لكي نجعل المبادئ المتضمنة في النصّ قابلة للتطبيق علينا.³⁶

وحين طبّقتُ مفتاح التفسير هذا على دراسة الأصحاح الخامس من الرسالة إلى أفسس، أدركتُ خطئي وخطأ كل من قرأتُ إسهاماتهم في هذا النصّ تقريبًا: فنحن نفترض أن أفسس 5 جدول ضيق يمكننا عبوره بسهولة، بينما هو في الحقيقة نهر عريض يتطلب عبوره جسرًا طويلًا.

دعوني أشرح ذلك. نحن نفترض أن الأزواج في كنيسة أفسس كانوا يشبهون إلى حدّ ما الأزواج المعاصرين. ونتخيّل أن بولس «يرانا» ويرى زيجاتنا اليوم، ولذلك يكتب هذه الرسالة إلينا. لكنه في الواقع يشير إلى زيجات في العالم اليوناني الروماني في القرن الأول، تختلف اختلافاً واضحًا عن زيجاتنا. ففي ذلك العالم لم تكن الأسرة تتكوّن من والدين عاملين وطفلين وكلب وقطة. بل كانت الأسرة في الغالب تتكوّن من رجل، هو paterfamilias (ربّ الأسرة)، يسود على زوجته وأولاده، وأحيانًا على عبيده أيضًا. وبحسب تعليم أرسطو (Aristoteles) كانت الأسر منظّمة تنظيمًا هرميًا – وكانت هذه في تلك الثقافة أفضل طريقة لإدارة الأسرة. (ولم تكن المرأة تصير الحاكمة على الأسرة إلا إذا لم يوجد رجل بالغ.) وأنا أقول «الحاكمة» عن قصد: فقد قال أرسطو: «الحكم على الأسرة ملكية»³⁷ – وكان الزوج والأب هو الملك.

وحين ذكرتُ في الفقرة السابقة الأولاد والعبيد، ربما اتضح لكم شيء ما كما اتضح لي. فالعلاقة بين الرجل والمرأة في أفسس 5: 22-33 هي الأولى من ثلاثة أزواج من العلاقات يتناولها بولس. ويليهام مباشرة الزوجان التاليان: الوالدون-الأولاد (6: 1-4) والسادة-العبيد (6: 5-9). وما فاتني من قبل هو أن بولس يطبّق الإنجيل على هذه الأسر القديمة المتعددة الطبقات، التي كانت تتكوّن من تسلسل هرمي من الرجال والنساء والأولاد والعبيد. فقد كان للأزواج حقوق وامتيازات وحرّيات حُرمت منها زوجاتهم.³⁸ وكانت لهم السلطة، وكانوا يوقّرون الجزء الأكبر من الدخل. وفي معظم الحالات لم تكن النساء يستطعن، من دون رجل يتصرّف باسمهنّ، أن يمتلكن ممتلكات، ولا أن يمارسن تجارة، ولا أن يُجرّين معاملات قانونية أو مالية.

وفي مجتمع البحر الأبيض المتوسط كان متوسط سنّ الزواج لدى الرجال ثلاثين سنة، أما لدى النساء فثمانين سنة أو أقلّ. وحين كان الرجل يتزوّج، كان عادةً رجلاً خبيراً بالدنيا، يعرف كيف يعيش في المجتمع. وكان شخصاً قادراً على التصرّف اجتماعياً واقتصادياً. أما المرأة فكانت لا تزال فتاة لا يُسمح لها حتى بالذهاب إلى باب البيت حين يُطرق. وكانت المرأة النموذجية تلد طفلاً كل سنتين أو كل ثلاثين شهراً تقريباً في أثناء سنوات خصوبتها. كانت دائماً «حافية وحاملاً» وفي البيت. وما إن يُفطم الطفل السابق حتى تحمل من جديد.³⁹

ولم تتلقّ معظم النساء أيّ تعليم سوى الواجبات المنزلية. وكُنّ طوال حياتهنّ معتمدات كلياً على غيرهنّ، وتحت سلطان رجل – أبيهنّ أو ربما الوصيّ عليهنّ، ثم أزواجهنّ لاحقاً. وكان الخضوع هو المعيار للأولاد والعبيد والزوجات. وفي هذا السياق وهذه الثقافة كان على *paterfamilias* أن يمارس السلطة، لا أن يخدم أحداً بتواضع، ولا سيما مرؤوسيه، الذين كان عليهم هم أن يخدموا *paterfamilias*. وهكذا رأى الأمر أرسطو أيضاً: «الرجل بطبيعته أصلح للأمر من المرأة ... وهذا التفاوت دائم ... وشجاعة الرجل تظهر في الأمر، وشجاعة المرأة في الطاعة.»⁴⁰

ولاحظوا ما يلي: إن بولس لا يَنشئ بنية منزلية يسود فيها الرجل الأكبر على جميع الآخرين، كما أنه لا يضع بنية حكم يكون فيها قيصر حاكم الإمبراطورية الرومانية. بل هو يتناول هذه الأوضاع فحسب، ويسعى إلى العمل داخل البنى الاجتماعية القائمة، بأن يجد طرقاً لتحسينها من غير أن يريد قلبها فوراً. وكأي مرسل صالح يدخل اليوم ثقافة جديدة، تكيف بولس حيث استطاع، وإن لم يكن يرى ذلك بالضرورة مثاليّاً.

الإنجيل يلتقي بالأسرة القديمة

لو كنتم مكان بولس، كيف كنتم ستنصحون هذه الأسر ذات البنية الهرمية في كنيستكم؟ لننظر في الاستراتيجيات الثلاث التي يستعملها بولس في نصّح الأسر في أفسس في سياقها آنذاك.

أولاً: يضع بولس كل العلاقات داخل الأسرة تحت راية الإنجيل. فهو يوجّه الزوجات والأزواج إلى أن يتعاملوا معاً «في خوف المسيح»، ويضع كل توجيه في عبارات تشير إلى المسيح: «كما للرب»، «كما أن المسيح أيضاً»، «المسيح»، «كما المسيح أيضاً»، و«ولكنني أنا أقول من نحو المسيح». ويتّبع النهج نفسه ليدفع الوالدين والأولاد، والسادة والعبيد، إلى إعادة النظر في علاقاتهم بعضهم ببعض. فكأن كل كلمة ثانية هي «المسيح» أو «الرب». ويحاول بولس ببراعة أن يساعد الجميع – الزوجات والأزواج، والأولاد والوالدين، والعبيد والسادة – على أن يروا طريقة علاقتهم بالآخرين تعبيراً عن علاقتهم بالمسيح.

ثانياً: يُدين بولس صراحةً السلوك الأناني والمتسلّط لأرباب الأسر (*paterfamilias*). ففي كتب الشرائع القديمة التي كانت تحدّد الأدوار داخل الأسرة، كان يُقال لأرباب الأسر أن يسودوا، ويُقال لجميع الآخرين أن

يخضعوا. وكان ثقل هذه الشرائع يقع في الغالب على المرؤوسين، الذين كان عليهم أن يضبطوا سلوكهم. أما «المدونة» التي حسنها بولس فتفعل شيئاً لم يُعهد من قبل: فهي توجّه أكبر اهتمامها في كل واحدة من هذه العلاقات إلى الأزواج/الآباء/السادة (والرجل نفسه معني في الحالات الثلاث كلها!)، لكي يغيّروا سلوكهم هم. وانطلاقاً من أن *paterfamilias* يسود على أي حال بحكم الأوضاع الثقافية، يدعوه إلى أن يبذل الآن حياته لأجل زوجته، وألاً يغيظ أولاده، وألاً يهدّد عبيده. وكانت هذه في ذلك الزمن بالتأكيد دعوة رائدة تماماً. ففي ثقافة كان فيها للأزواج سلطان الحياة والموت على زوجاتهم، يدعو بولس الأزواج إلى أن يتخلّوا عن سلطانهم، بل أن يموتوا إن لزم الأمر، لكي تكون زوجاتهم بخير.

ثالثاً: يستعمل بولس الإنجيل ليلطّف خضوع المرأة والأولاد والعبيد للـ *paterfamilias* ويعيد ترتيبه. فمن غير أن يدعوهم إلى التمرّد، يلمّح إلى نوع الخضوع الذي يمكن أن يُحدثه الإنجيل في وضعهم. وبالنسبة إلى الزوجة يعني هذا، كما رأينا، أنها لا ينبغي أن تخضع لسلطة زوجها على مضض، بل أن تخدمه بتواضع وثرصيه، كما تريد أن تخدم المسيح بتواضع وثرصيه.

لقد صنع تعليم بولس العجائب.

فبتوبيخه الشديد للـ *paterfamilias*، ثم بالتفاتة بمحبة إلى أضعف الناس في مجتمع أبوي – الزوجات والأولاد والعبيد –، جعل الكنيسة الأولى تجذب العاجزين عن الدفاع عن أنفسهم بأعداد غفيرة. وقد سخر الناقد الوثني كلسوس (Celsus) من الكنيسة في القرن الثاني بقوله: «المسيحية دين للنساء والأولاد والعبيد».⁴¹

كان نهج بولس في ما يخصّ العلاقات داخل الأسرة شيئاً جديداً تماماً على ثقافة ذلك الزمن. فهو لا يلغي التراتبية القديمة، لكنه لا يريد أيضاً أن يحافظ عليها بوصفها مثلاً إلهياً. بل يقوّضها على نحو لا يجعل بنيتها كلها مندمجة في الإنجيل فحسب، بل يجعلها في النهاية تذوب فيه، كما حدث ذلك في زمننا أيضاً.

ولكن في ذلك الوقت، في العصور القديمة، ما كان أيّ وثني يزور أسرة مسيحية ليظنّ أن بولس يريد تقويض القانون الروماني أو إدخال بنى أسرية مساواتية بسيطة. فما كان سيلفت نظره في *paterfamilias* المفديّ هو أولاً الطريقة غير المألوفة التي كان يعتني بها بمحبة بالأشخاص الذين يقودهم ويضخّي لأجلهم، وثانياً فرح زوجته وأولاده وعبيده.

وعلى خلاف الرأي 3، الذي يفترض أن بولس يعلم مساواتية غير مقيدة، يفترض هذا الرأي أن بولس، حين يصف الزوج بأنه رأس الزوجة، يعترف بالأعراف الثقافية التي تكون فيها للزوج سلطة على الزوجة. وحين يقارن فضلاً عن ذلك العلاقة بين الزوج والزوجة بالعلاقة بين المسيح والكنيسة، فقد يعني ذلك حقاً أنه يلمّح إلى أن أحدهما «مسؤول» عن الآخر. لكن حتى وإن انطلق من أن *Paterfamilias* يحمل المسؤولية، فإنه لا يفرض ذلك على الإطلاق بوصفه نوعاً من «الدور» أو المكانة التي ينبغي للزوج أن يتّخذها تجاه زوجته في كل الأزمنة وفي كل الثقافات. بل على العكس: فبعيداً عن تقديم سلطة الرجل الثقافية على المرأة مثلاً أعلى، يسعى إلى نزع فتيلها بالإنجيل.

دحض حجّة جون بايبر

يقدم بعض التكاملين الحجّة المضادة التالية: إن افترضنا أن بولس يعترف بسلطة الزوج ويربطها بعلاقة المسيح بالكنيسة، فإنه يعلن فعلاً القيادة والخضوع بين الزوج والزوجة مثلاً أعلى، ومن ثمّ يخلّدهما. يقول بايبر (وقد كتب كتاباً عن ذلك) إن الزواج المسيحي المفديّ والهرمي في آن واحد يعرض الإنجيل أمام عيني

العالم. فهو يكتب: «إن قيادة الرجل المُحبّة لزوجته المطيعة المعتمدة عليه صورة للمسيح والكنيسة. وحين يفقد الرجل دوره القيادي، لا يعود الأمر كذلك.»⁴²

إن حُجته معيبة من ثلاث جهات. أولاً: يقول بولس شيئاً مشابهاً عن العبودية في الأسرة، حين يقول للعبيد أن يطيعوا سادتهم كما يطيعون المسيح الذي هو ربّهم. فبحسب حُجة بايبر يكون الله قد خلق علاقة السيد-العبد ليُري العالم «جمال» خضوعنا ليسوع ربّنا. كلا! ففي الحالتين يطبّق بولس الإنجيل على وضع واقعي، لكنه ليس مثالاً بالضرورة.

ثانياً: ليست التراتبية في الزواج هي ما تصوّر الإنجيل، بل فداء مثل هذا الزواج. وما يؤكّده بولس في هذا المقطع ليس التراتبية، بل خدمة الرجل لزوجته، التي تخضع له في خضوع متبادل، والتي تجمعها بها علاقة حميمة. وهذا يمكن بالتأكيد أن يتجلّى في زواج قائم على التبادلية أفضل مما يتجلّى في زواج هرمي. وكما بيّنتُ في الرأي 3، يوضّح بولس استعماله لكلمة *kephalē* بإبرازه يسوع مخلصاً للكنيسة وحافظاً لها، لا ربّاً لها.

ثالثاً: لا يمكن لأيّ زواج هرمي أن يكون هرمياً بما يكفي، إن افترضنا أن الله يريد أن يوضّح للعالم من خلال الزيجات سيادة يسوع على كنيسته. فيسوع هو ربّ كنيسته، لكن الزوج بالتأكيد ليس ربّ زوجته.

وعلى الرغم من نقاط الضعف في حُجة بايبر، فإنني أوافق على أن الزواج المسيحي ينبغي أن يعكس شيئاً من الإنجيل. فالزواج المسيحي يستطيع، مثل أيّ جماعة مسيحية، أن يُظهر للعالم أننا تلاميذ يسوع، بأن يحبّ بعضنا بعضاً محبة باذلة، كما أحبّنا هو. والزيجات القائمة على التبادلية تستطيع ذلك بالقدر نفسه الذي تستطيعه الزيجات ذات البنية الهرمية، إن لم يكن أفضل. ويستطيع الزواج المسيحي أن يعكس جيداً أمراً آخر أيضاً: الاتحاد الدائم والحميم الذي لنا مع المسيح. فتشبيه الرأس والجسد الذي يستعمله بولس، والذي يسمّيه «جسداً واحداً»، يشير إلى علاقة عهد عميقة مُحبة وإلى ارتباط حيّ عضوي. وبينما لا تبدو فكرة انفصال القائد عن رؤوسيه غريبة كثيراً، فإن فكرة انفصال الرأس عن جسده مرعبة إلى أقصى حدّ.

أين نخطئ في أفسس 5

في كتابه الذي يقع في 800 صفحة يحتجّ غرودم بشدّة لخضوع المرأة في الزواج، من غير أن يذكر قطّ الفرق الهائل بين الزيجات في القرن الأول والزيجات اليوم.⁴³ والأمر نفسه ينطبق على الزوجين كيلر: ففي دراستهما المفصّلة لأفسس 5 لا يُوليان هذا الجانب أيّ اهتمام، ولا يتطرّقان إلى وضع الزواج آنذاك. ولا مرة واحدة. وهذا خطأ: فهما يعاملان نهراً عريضاً كأنه جدول ضيّق.

ليس هدف بولس أن يخلّد بنية الأسرة القديمة. بل هو يطبّق الإنجيل على وضع ثقافي فريد يختلف اختلافاً كبيراً عن وضعنا. فبولس لم يخاطب عالمي، الذي تكون فيه معظم النساء البالغات متعلّقات مثل الرجال تماماً، ويتحكّم في خصوصتهنّ، ومستقلّات مالياً، ولا توجد فيه ضرورة اجتماعية لأن يكون فوقهنّ رجل. وكل هذا يتيح نوعاً مختلفاً من الزواج.

والسؤال التالي هو: الآن وقد أدركنا أن بين وضعهم ووضعنا نهراً عريضاً جدّاً، كيف نستطيع أن نبني فوقه «جسراً»، لكي نجعل المبادئ المتضمّنة في النصّ قابلة للتطبيق علينا؟ أو بعبارة أخرى: ماذا كان بولس سيقول عن الزيجات اليوم في مجتمعنا، التي لم تعد هرمية صارمة، بل مساواتية؟ أقترح ما يلي:

كان سيقول لنا إن علينا أن نضع المسيح في مركز زواجنا. فطريقتنا في أن «يرى» أحدا الآخر، وفي التعامل معاً، والعمل معاً، واحترام أحدا الآخر، ينبغي أن تطبعها علاقتنا الأولى بالمسيح. وينبغي أن يخضع بعضنا

لبعض، وأن نخلع استقلاليتنا وأنانيتنا، وأن نسعى إلى علاقة «الجسد الواحد» الحميمة، كما عشت قبل السقوط في جنة عدن. وإن افترضنا أن الرجال في المتوسط أكثر استقلالية، ومن ثمّ أكثر تمركزًا حول ذواتهم، من النساء اللواتي هنّ في المتوسط أكثر توجّهًا نحو العلاقات، ومن ثمّ أكثر التفانيًا إلى الآخرين من الرجال، فإن على الأزواج مثلي على كل حال أن يتأملوا خصوصًا في محبة المسيح الباذلة للكنيسة، التي تؤدّي إلى ازدهار عروسه المتألق.

الآن وقد أدركتُ الفرق الواضح بين السياق آنذاك وسياقنا اليوم، لا أستطيع ببساطة أن أتصوّر أن بولس كان سيقول لزوجين معاصرين عاديّين، الرجل والمرأة فيهما متقاربان في السنّ، ومتعلّمان تعليمًا جيدًا بالقدر نفسه، وربما يعملان كلاهما ويشاركان في تربية أولادهما: «أحسنتما أنكما تعيشان شراكة. استمرّا هكذا! لكنني أريد أن أصرّ على أن يتولّى الرجل الدور القيادي، وأن تكون المرأة خاضعة له.» كيف كان يمكنه أن يفعل ذلك، وهو يعلم أن المثال الأعلى للزواج في الخليقة هو وحدة الجسد الواحد، شراكة حقيقية بالمعنى الكامل للكلمة، كما في الزواج الأصلي بين آدم وحواء؟

هذا ليس رأيي الشخصي فحسب. بل هو رأي واسع الانتشار، بل إنه رأي أغلبية المسيحيين: ففي رسالته الرسولية *Mulieris Dignitatem* الملزمة لجميع الكاثوليك، يقول البابا يوحنا بولس الثاني (Johannes Paul) (II). إن سلطة الرجل على امرأته تعكس شيئًا «قديمًا»؛ وتحدث الرسالة عن طريقة تفكير «متجذّرة بعمق في عادات ذلك الزمن وتقاليده الدينية». أما «الجديد» و«جِدّة الإنجيل» فهو أن «الخضوع ليس من طرف واحد، بل هو متبادل».⁴⁴ وإذا كانت إحدى أكثر الطوائف تشدّدًا من الناحية العقائدية قادرة على إجراء هذا التصحيح في تعليمها، فحرّيّ بنا نحن الآخرين أن نأخذ علمًا بذلك.

بالطبع لا تزال هناك في العالم ثقافات يكون فيها الرجال أصحاب الكلمة. وبالنسبة إليها يبدو تعليم بولس وكأنه قُصِّل على مقاسها. ففي المجتمعات الأبوية يملك الأزواج عادةً سلطة اجتماعية وفكرية وسياسية ومالية أكبر بكثير مما تملكه النساء. والمطلوب الآن من الرجل أن يستخدم هذه السلطة بإنكار للذات لخير امرأته، كما يستخدم المسيح سلطته الفاتكة لخير الكنيسة. ولكن إذا فعل ذلك آلاف الأزواج في الثقافات الأبوية مدة كافية، فإن النساء والزوجات سيُتميّن سلطتهن الاجتماعية والفكرية، ويصبحن أكثر استعدادًا لأن يكنّ شريكات مساويات لأزواجهن. وإلى هذا بالضبط قادتني دراساتي. فتطبيق الرأي 4 – رب الأسرة المفدي (*paterfamilias*) – على ثقافات يكون فيها الزواج منظمًا تنظيمًا هرميًا صارمًا، سيؤدي في نهاية المطاف إلى تحوّل هذه الثقافات وإلى تعزيز زواج بحسب الرأي 3، كما حدث بالفعل في البلدان التي طبعتها المسيحية بطابعها منذ زمن طويل.

لو أننا وسّعنا دراستنا للنصوص الكتابية المتعلقة بالزواج كما نجدها في العهد القديم والجديد، لآتضح منذ البداية أن الله يفضل زواجًا قائمًا على التبادلية.

زوجات يوجّهن أزواجهن

إذا أخذنا في الاعتبار أن جميع الزوجات المذكورة في العهد القديم عُقدت في بيئة أبوية، فيمكننا أن نفترض أن الافتراض الثقافي السائد كان أن الزوجات خاضعات لأزواجهن. ولذلك فمن اللافت أنه – باستثناء إنباء الله بأن «آدم سيسود على حواء» – لا توجد لا في شريعة موسى ولا في أقوال الأنبياء وصيّة تأمر الزوجات بالخضوع لأزواجهن.

وإذا تأملنا اللقطات الصغيرة التي لدينا عن ديناميكية السلطة بين الأزواج في العهد القديم، نلاحظ مرارًا وتكرارًا أن الزوجات يوجّهن أزواجهن. فعند مفترقات طرق كثيرة في حياتي طلبتُ من الله الحكمة، ووجّهتُ أذني نحو السماء لأسمع ما سيقوله لي. وكثيرًا ما سمعته يقول لي ما قاله قديمًا لإبراهيم: «في كل ما تقول لك [امراتك] اسمع لقولها».⁴⁵ يا لها من نصيحة رائعة! وأنا أعرف عمّا أتحدث: **كثيرًا جدًّا ما تسمع الزوجات من الله أولًا.**

أليس هذا بالضبط ما حدث لأُمّ شمشون؟ ففي ثقافة كان من غير اللائق فيها أن يخاطب رجلٌ امرأة مباشرة، يتخذ ملاكٌ هيئة رجل ويبشّر امرأة عاقراً بأنها ستلد طفلًا ممسوخًا بالروح. وبعد ذلك تستدعي المرأة زوجها: «فأسرعت المرأة وركضت وأخبرت رجلها وقالت له: هوذا قد تراءى لي الرجل الذي جاء إليّ ذلك اليوم». انتبهوا جيدًا إلى الكلمات التالية: «فقام [منوح] وسار وراء امرأته». وربما لم يكن مسرورًا بأن رجلًا غريبًا يخالف الأعراف الأبوية، فيسأل: «أأنت الرجل الذي تكلم مع المرأة؟»⁴⁶ وتشير هذه القصة فوق ذلك إلى ولادة أعظم شأنًا. فبعد أكثر من ألف سنة يأتي ملاكٌ أولًا إلى مريم ليبشّرها بالرسالة نفسها.⁴⁷ ولا يُعلم زوجها إلا لاحقًا.⁴⁸ في كلا المشهدين تعرف المرأة أولًا من الله ما سيحدث، بينما لا يُطالع الرجل على آخر المستجدات إلا لاحقًا – أي على ما تعرفه امرأته. ولو كان هناك شيء اسمه «نظام الخليقة» (وهو ليس موجودًا)، فيبدو أن الله لا يلتزم به.

ثم هناك المرأة الشونمية التي تأخذ المبادرة وتستضيف النبي أليشع عندها. فتقول لزوجها: «قد علمتُ أنه رجل الله، مقدّس الذي يمرّ علينا دائمًا. فلنعمل عليّة على الحائط صغيرة ونضع له هناك سريرًا وخوّاكًا وكرسيًا ومنارة، حتى إذا جاء إلينا يميل إليها».⁴⁹ ومرة أخرى يطيع الزوج امرأته فورًا، ويثق بالفطرة في حكمها الروحي في هذا الأمر.

ولا بدّ هنا من ملاحظة قصيرة: على الرغم من التفسير الواسع الانتشار بأن «الزوج هو kephalē الزوجة»، وهو ما يعني تقريبًا أن «الزوج ينبغي أن يكون الرأس الروحي للأسرة»، يؤسفني أن أخبركم أن هذا التصوّر لا أساس كتابيًا له. وربما ينبغي لكم أن ترموا ملاحظاتكم التي كُتبت فيها أن الرجل (لا المرأة) هو من يقود الصلاة، ويدعو إلى العبادة العائلية، ويقرّر أيّ كنيسة يذهب إليها الزوجان أو الأسرة. ومن دون أن أرغب في التقليل من أهمية المبادرة الحاسمة التي يأخذها الزوج أو الأب لأجل الخير الروحي لأسرته، فإنه من الأفضل مع ذلك أن يبذل **كلاهما**، الزوج والزوجة على السواء، كلّ ما في وسعهما – كفريق وكأفراد – ليطلبوا الله، ويختارا كنيسة ويصنعا عضوين فيها، ويسعيا إلى النموّ الروحي لسائر أفراد الأسرة. وردّا على التعليم القائل إن الزوج ينبغي أن يكون راعي بقية الأسرة، أوصي بأن يشكّل الزوج والزوجة معًا فريق القيادة الرعوية للأسرة.

ومن النساء الأخريات اللواتي يبدو أنهن تحدّين الأعراف الأبوية، رغم أنهن عشن في ثقافة ذكورية، أبيجايل. فزوجها الثري جدًّا نابال «قاسٍ ورديء الأعمال».⁵⁰ وعندما طلب داود ورجاله المسلّحون، وهم هاربون وجائعون، من نابال شيئًا يأكلونه، سخر منهم بلا مبالاة ورفض طلبهم. فدبّر داود، وقد جرح كبرياؤه بعمق واشتعل غضبه، خطة لقتل نابال وجميع الرجال في أملاكه – وهي، باعتراف الجميع، ليست ردّة فعل مسيحية جدًّا.

تمنع أبيجايل سفك الدماء بعصيانها لزوجها، وبعد إخباره بنية داود القتل. فتحمل أطعمة على حمارها، وتركب إلى داود، وتتعامل ببراعة مع كبرائه المجروح، قائلة: «لا يضرّ سيدي قلبه على رجل بليعال هذا، على نابال، لأن كاسمه هكذا هو. نابال [أي: أحق] اسمه، والحماقة عنده».⁵¹ وحتى وهي تؤكد كم هو زوجها

إنسان فظيع، فإنها تخاطب الجانب الأفضل في داود وتتوسّل إليه أن يرحم. فيقرر داود عندئذ أن يضع سلاحه.

وعندما تعود أبيجايل إلى البيت وتخبر نابال بأنها ألغت أمره وبأن داود عفا عن حياته، يموت قلبه في داخله، ويموت بعد عشرة أيام. وعندما يرسل داود بعض الرجال ليأخذوها زوجةً ثالثة له، تسجد وتقول: «هوذا أمتك جارية لغسل أرجل عبيد سيدي».

إنها حقًا قصة غريبة، لكن لاحظوا أنه لا شيء فيها يشير إلى أن الله يستحسن أن تدعو كلًّا من نابال وداود «سيدها». ومع أن كلا الرجلين يقبلان هذا اللقب دون تردد، فمن الواضح أننا أمام امرأة تعلّمت أن **تنجو** في ظل النظام الأبوي بالتكيّف معه. وأحيانًا يعني هذا حتى مقاومة «السلطة الذكورية» – وهو أمر يُثنى عليه في هذا المقطع. بل إن كان هناك شيء، فإننا نجد هنا مثالًا على امرأة كانت على الأرجح ستصبح قائدة ناجحة في ثقافة أخرى أكثر عدلًا. فداود لم يُعجب بجمالها فقط، بل أيضًا بمهاراتها الاستراتيجية ودبلوماسيتها الأسرية، اللتين منعت بهما سفك دماء لا داعي له في الحال.

الخلاصة: قصص العهد القديم لا تدعم تصوّر القائل إن سلطة الزوج على امرأته هي القاعدة التي أرادها الله.

الزواج التبادلي في 1 كورنثوس 7

نشيد الأنشاد هو أطول مقطع في الكتاب المقدس يتناول الديناميكية الداخلية لعلاقة محبة ورومانسية وجنسية بين شخصين. وليس فيه على الإطلاق أي مؤشّر على علاقة سلطة وخضوع بين الرجل والمرأة. ففي الرومانسية وفي العلاقة الجنسية يأخذ كلاهما المبادرة، وكلاهما يتجاوب، وكلاهما يعطي، وكلاهما يأخذ. وهذا السفر الشعري لا يذكر فقط بالمتعة العارية التي عاشها آدم وحواء معًا كمتساويين قبل السقوط؛ بل له أيضًا ما يقابله في العهد الجديد.

إن 1 كورنثوس 7 هو بلا منازع أطول مقطع في رسائل بولس يتناول الزواج. ومع ذلك فإن بولس، في توجيهاته بشأن الحياة الجنسية والخدمة والانفصال في الزواج المسيحي، لا يعطي أدنى إشارة إلى أن الزواج المسيحي يمكن أن يكون شيئًا آخر غير شراكة قائمة على التبادلية والمحبة بين متساويين. بل إن هذا هو في الواقع الإصحاح الوحيد في الكتاب المقدس الذي يتناول صراحةً مسألة السلطة في الزواج. وهي، بالمناسبة، للمرأة كما هي للرجل.

أودّ أن أنتقي بعض الاقتباسات⁵² التي تؤكد المحبة المتبادلة والسلطة المتبادلة اللتين قصدهما الله لزيجاتنا:

[ل]يكن لكل رجل امرأته، وليكن لكل امرأة رجلها. (ع 2).

ليوف الرجل المرأة المودّة الواجبة لها، وكذلك المرأة أيضًا الرجل. (ع 3).

ليس للمرأة تسلّط على جسدها، بل للرجل؛ وكذلك الرجل أيضًا ليس له تسلّط على جسده، بل للمرأة. (ع 4).

لا يسلب أحكم الآخر، إلا أن يكون على موافقة إلى حين (ع 5).

لا تفارق المرأة رجلها. ... ولا يترك الرجل امرأته (ع 10-11).

إن كان أخ له امرأة غير مؤمنة، وهي ترتضي أن تسكن معه، فلا يتركها؛ والمرأة التي لها رجل غير مؤمن، وهو يرتضي أن يسكن معها، فلا تتركه (ع 12-13).

[لأن] الرجل غير المؤمن مقدّس في المرأة، والمرأة غير المؤمنة مقدّسة في الرجل (ع 14).

ولكن إن فارق غير المؤمن، فليفارق! ليس الأخ أو الأخت مستعبدًا في مثل هذه الأحوال (ع 15).

لأنه كيف تعلمين أيتها المرأة هل تخلصين الرجل؟ أو كيف تعلم أيها الرجل هل تخلص المرأة؟ (ع 16).

لكنك وإن تزوّجت [أيها الرجل] لم تخطئ؛ وإن تزوّجت العذراء لم تخطئ (ع 28).

غير المتزوج يهتم في ما للرب ... غير المتزوجة تهتم في ما للرب (ع 32، 34 ب).

[أ]ما المتزوج فيهتم في ما للعالم ... وأما المتزوجة فتهتم في ما للعالم (ع 33-34).

ماذا نتعلّم في 1 كورنثوس 7 عن خطة الله للزواج؟ يقول ريتشارد هايز (Richard Hays): «لا بدّ أن إجابات بولس ... قد بدت استثنائية لقراء القرن الأول. فالزوجان لا تربطهما علاقة هرمية، ولا هما كيانان مستقلان يفعل كلّ منهما ما يحلو له. بل الزواج علاقة خضوع متبادل، ينتمي فيها كل شريك إلى الآخر».⁵³

عندما بدأت لأول مرة أقدم المشورة للناس حول كيفية اختيار شريك الحياة، كنت أوصي بترك القرار لله. ثم ذات يوم، عندما قرأت 1 كورنثوس 7، أدركت أنني قرأت للتوّ التعليم الواضح الوحيد في العهد الجديد حول هذا الموضوع: «[هي] حرّة لكي تتزوج بمن تريد، في الرب فقط!» (ع 39). والدرس من ذلك؟ علينا أن نختار، وأن نختار بحكمة. والآن، عندما قرأت 1 كورنثوس 7 مرة أخرى، مررتُ بلحظة اكتشاف مشابهة: الآية الوحيدة في العهد الجديد كله التي تتحدث عن الكيفية التي ينبغي أن يتخذ بها الأزواج القرارات المهمة – مثلًا متى يمارسون العلاقة الجنسية أو متى يطلبون الله معًا – هي: «لا يسلب أحدكم الآخر، إلا أن يكون على موافقة» (ع 5). والدرس من ذلك؟ إذا حرص الزوجان على أن يتخذا القرارات معًا كشريكين متساويين، فلا حاجة إلى أن يصدر الزوج أوامر أو أن يتخذ القرارات الفاصلة.

الخلاصة: 1 كورنثوس 7 هو الإصحاح الوحيد الذي يتحدث صراحةً عن سلطة الرجل على امرأته – لكنه يتحدث أيضًا عن سلطة المرأة على رجلها. وهو يعزّز في الزيجات المساواة بين الجنسين، والخضوع المتبادل، والتوافق المشترك أساسًا لاتخاذ القرارات.

وبالنظر إلى وحدة الكتاب المقدس التي أقرّها الروح القدس، يمكن لـ 1 كورنثوس 7، بل ينبغي له، أن يحدّد تفسيرنا لأفسس 5. لذلك من الغريب أن معظم الكتاب التكامليين البارزين إما يذكرون 1 كورنثوس 7 بإيجاز فقط، متجاهلين تعارضه الفعلي مع تفسيرهم⁵⁴، وإما – وهذا هو الأكثر شيوعًا – يتجاهلون النص ببساطة.⁵⁵

أي رأي يصحّ إذن؟

في ختام هذا الفصل عن تفسير أفسس 5، أودّ أن أتناول السؤال: أيّ الآراء الأربعة ينبغي أن تكون له الأولوية في زيجاتنا وكنائسنا؟

أدعو إلى أن نرفض الرأي 1 (الزوج صاحب القرار) وأن نسمّيه باسمه الحقيقي: لاهوت قمعي.

أما الرأي 2 (الزوج صاحب الكلمة الفصل) فقد كان لسنوات كثيرة محطة انتقالية في زواجي أنا وجولي، وأنا ممتنّ لذلك. لكنّ تحليل المشكلات المرتبطة به، والتفوّق التفسيري للرأيين 3 و4، وقراءة أشمل للكتاب

المقدس في موضوع الزواج، كل ذلك يعني أنه ينبغي لنا على الأرجح أن نتخلّى عن هذا الرأي أيضًا.

فأيّ الرأيين الباقيين نختار إذن؟

ربما لا نحتاج إلى الاختيار أصلًا.

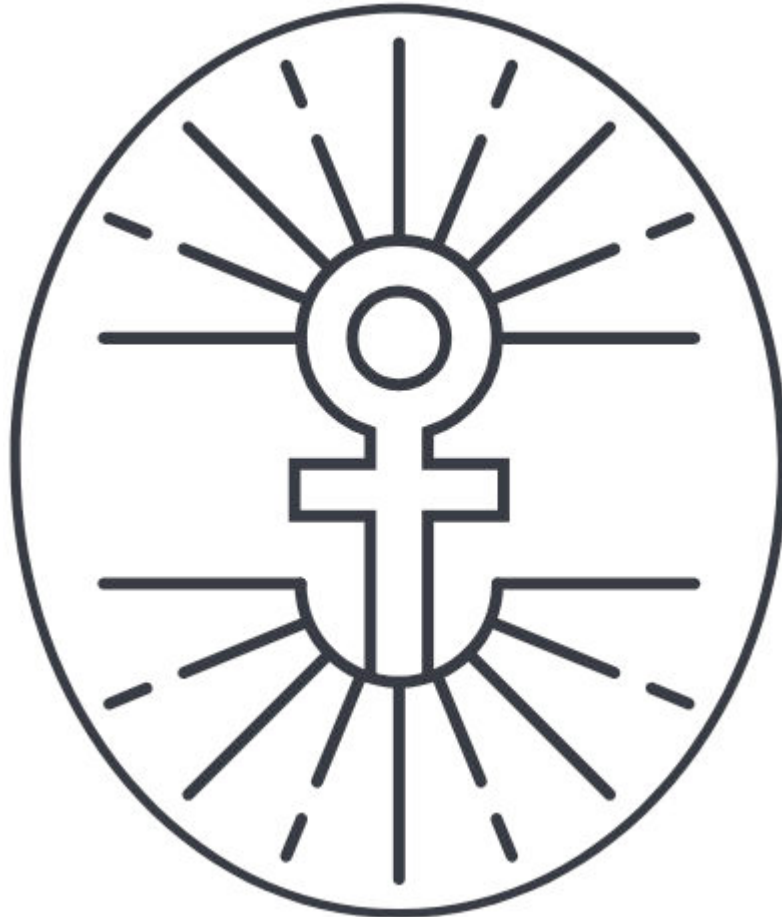
فالرأي 3 (الزوج خادمًا لشريكته المساوية له) يؤيد زواجًا قائمًا على التبادلية، في حين أن الرأي 4 (الزوج ربّ الأسرة المفدي، *paterfamilias*) لا يعترض على مثل هذا الزواج، بل يقدّم توجيهات للزيجات وللكنائس في الثقافات التي لا تزال ذات طابع أبوي قوي.

بعبارة أخرى: ربما يساعدنا الرأي 4 أكثر من غيره على فهم النص كما فهمه على الأرجح القراء الأصليون. لكن الرأي 3 هو، ولا سيما بالنسبة إلى من يعيشون مّا في ثقافات أكثر مساواتية، الطريقة الصحيحة لتطبيق أفسس 5.

وعليه فإن مشورة الله الحكيمة للزوجين هي أن يدركا اتحادهما بوصفهما «جسدًا واحدًا»، كما يتجلّى في علاقة الحب في جنة عدن. وعليهما أيضًا أن يقوّيا هذه الوحدة بالتركيز المتبادل الكامل والاستعداد للخدمة، وكذلك – عند اتخاذ القرارات – بالتشاور والموافقة من الطرفين. وفي هذا الطريق يمكن أن تُلهمنا مقارنتان: محبة المسيح الباذلة لكنيسته، وعناية كل إنسان بجسده.

كيف نتعامل مع ما تبقي من شكوك في قصد الله إقامة مساواة حقيقية بين الجنسين؟ فيما يلي نتناول ما قد يكون أهمّ سبب للتخلّي عن أنماط التفكير الأبوية في الزواج (وكذلك في الكنيسة والمجتمع).

9



الإله الذي يتكَيّف

«هل سنحاول [نحن الأزواج] أن نتمسك بسلطة على زوجاتنا منحتنا إياها يومًا ما الثقافة المحيطة بنا، لكننا لم نعد نملكها اليوم في معظمها؟ أم أننا سنتنازل بطيب خاطر عن السلطة وعن المطالبة بها، ونعامل زوجاتنا كمتساويات معنا، فنحصد في المقابل علاقة زوجية أكثر حميمية؟»

بيتر ديفيدز (Peter Davids)⁵⁶

مؤلت مؤسسة غيتس (Gates Foundation) مؤخرًا دراسة دولية واسعة النطاق، تبيّن منها أن النساء ممثّلات تمثيليًا ناقصًا جدًّا في وسائل الإعلام. «فعلى سبيل المثال، لم يُقتبس كلام النساء إلا في 29 % من الأخبار الإلكترونية التي حُلّلت في المملكة المتحدة سنة 2019. وفي الهند لم تتجاوز النسبة 14 %».⁵⁷ ورغم كل التقدّم الرائع الذي أُحرز في تحسين مكانة المرأة في المجتمع، لا نزال أقل استعدادًا بكثير لأن «نرى» النساء و«نسمعهن» مما نفعل مع الرجال.

فكم بالأحرى أعاقَت الأوضاع الاجتماعية في آلاف السنين الماضية، حين كان النظام الأبوي بلا منازع، قدرة النساء على الوصول إلى المناصب العامة؟ يشرح عالم الآثار إيان موريس (Ian Morris) لماذا توجد دلائل قليلة جدًّا على أن النساء كنّ موجودات أصلًا في أثينا القديمة: «تبقى النساء والعبيد غير مرئيين» بسبب «ثقافة المواطنين الذكور الطاغية في كل مكان»، التي فيها «لم يكن الرجال يقمعون النساء فحسب، بل كانوا يسيطرون أيضًا على الأماكن التي تعيش فيها النساء»، فصرن بذلك غير مرئيات تقريبًا في ثقافة ذلك الزمن، وكذلك في المكتشفات الأثرية اليوم.⁵⁸

ولم يكن الوضع أفضل كثيرًا بالنسبة إلى النساء في العالم اليوناني الروماني الأوسع الذي انتشرت فيه الكنيسة القتيّة. فباستثناء حالات نادرة،⁵⁹ لم تكن النساء المحترمت يسعين إلى مناصب قيادية عامة. بل كنّ يجدن كرامتهن في العمل المنزلي وتربية الأولاد. وفي المسرحيات اليونانية كانت أكثر الشخصيات النسائية شيوعًا هي الإماء والبغايا، لأن هذه المسرحيات كانت تروي «قصصًا من واقع الحياة». أما نساء المدينة المحترمت والفتيات الصغيرات غير المتزوجات فكان يُنتظر منهن أن يبقين في البيت وألا يظهرن في الأماكن العامة. ولذلك ليس من المستغرب أنه لم يكن هناك إلا قليل من النساء اللواتي شغلن «دورًا قياديًا». ففي النهاية، لا بدّ أن يحصل الشخص على قدر من التعليم وأن يخرج إلى الفضاء العام لكي يؤدي دورًا في الحياة العامة ويثبت أنه يملك صفات القيادة. وبما أن النساء كنّ يعشن محجوبات عن الأنظار، فإن قليلات فقط من النساء اللواتي نلن من الله موهبة التعليم والقيادة حظين يومًا بفرصة أن تُكتشف هذه المواهب وتُمنّى وتُستخدم علنًا.⁶⁰

لماذا يندر ذكر زوجات القادة الرجال في العهد الجديد؟ إن التركيز الحديث على المساواة والشراسة والمكانة المشتركة للأزواج المسيحيين لم يكن له وجود يُذكر في الكنيسة الأولى، حين كانت مهام البيت وتربية الأولاد - حتى داخل الكنيسة - موكلة إلى الزوجات.

وبالمثل يمكننا أن نسأل لماذا توجد في الكتاب المقدس شخصيات نسائية قليلة جدًّا مقارنةً بالرجال. يرى بعض النقاد الذين ينكرون الوحي الإلهي للكتاب المقدس اليوم أن هذا يُثبت أن الكتاب ليس إلا نتاجًا لثقافة أبوية. ويقول بعض التكاملين إن هذه هي طريقة الله في إبراز الأدوار الفريدة البارزة التي يُفترض أن يؤديها الرجال وحدهم في ملكوت الله. غير أن الطريقة الأفضل لفهم السلطة الإلهية للكتاب المقدس وفهم الأوضاع التاريخية الكثيرة التي يتناولها في آن واحد هي أن نقول إن الله كيّف إعلانه للناس بحسب أوضاع

معيّنة، من دون أن يجعل هذه الأوضاع مثالية تلقائيًا. وإذا أغفلنا هذا المبدأ التفسيري الحاسم، فإننا نستنتج دون تفكير، من ملاحظة أن النساء كنّ في زمن الكتاب المقدس خاضعات للرجال بطرق مختلفة، أن على النساء، كجزء من خطة الله الشاملة، أن يخضعن للرجال في كل مكان وفي كل زمان.

تكيّف الله، مفهومًا فهمًا صحيحًا

في نهاية التاريخ سيملك الله أخيرًا على مجتمع مثالي. ولكن منذ السقوط اختار أن يعمل عملاً فدائيًا داخل المجتمع المنكسر، بدلًا من أن يدينه ببساطة بطوفان كما فعل قديمًا. أما الآن فإن فداء الله ينهمر بطريقة يكون فيها «الماء الحي للروح القدس متدفقًا فوق المشهد الاجتماعي [القائم]، ومتكيفًا كنهز متعرج مع التضاريس التي يصادفها. لكنه في أثناء ذلك، كتيّار الماء الذي لا يُقاوم، يعيد تشكيل المشهد ويجعل في النهاية الطرق المعوجة مستقيمة».⁶¹

إن المقاطع الكتابية القليلة التي يبدو فيها أن كتاب العهد الجديد يوافقون على النظام الأبوي في ثقافة زمانهم هي في الحقيقة أمثلة على تكيّف الله. فهو يعمل بما لديه، والرسل يتبعون مثاله – فهم يزرعون بذار ملكوت الله في تربة لا تزال مليئة بالحجارة والأعشاب الضارة. ونحن نعيش حاليًا في زمن تتداخل فيه الدهور. فملكوت الله حاضر هنا في وسط عالم ساقط تتغلغل فيه أنظمة اجتماعية ساقطة. وفي يوم من الأيام سيزيح الملكوت هذه الأنظمة إزاحة كاملة، أما الآن فهو يضرب جذوره فيها ويخرج منها شيئًا جديدًا. يحتجّ التكاملي جون ماكآرثر (John MacArthur) بأن كون الرجال وحدهم قد كتبوا الكتاب المقدس دليلٌ على أن الله لم يعين إلا الرجال لتعليم كلمة الله. وهو بذلك يتجاهل على ما يبدو أولئك اللاهوتيين الذين يرون أن نسبة الرسالة إلى العبرانيين إلى بريسكلا (ومعها أكيل) أمر معقول. لكنه قبل كل شيء يغفل أنه في العالم القديم لم تكن تكاد امرأة واحدة قد تلقت تعليمًا في الكتابة – فحقيقة أن الرجال وحدهم كتبوا أسفار الكتاب المقدس (أو على الأقل الرجال في الغالب، إن كانت بريسكلا قد أمسكت بالقلم) هي دليل على أن الله يعمل بما هو متاح، حتى وإن كان يعد بأن يُقيم يومًا *Shalom* (سلامًا شاملًا) يستطيع فيه جميع الرجال والنساء أن يقرأوا ويكتبوا.

المزيد عن خضوع الزوجات

كان الوضع الاجتماعي للنساء في العالم القديم أسوأ بكثير مما هو عليه اليوم (وإن كان أماننا نحن أيضًا طريق طويل): فقد كان الرجال يُفضّلون على النساء، ويملكون السلطة ويشغلون المناصب العامة؛ وكان الناس يهتمون بما يقوله الرجال ويفعلونه، ويحصرّون النساء في حيّز منزلي ضيق جدًا، فكّنّ بذلك غير مريّيات مثل العبيد والأطفال.

وكل امرأة قاومت كان عليها أن تدفع الثمن. ففي أستير 1 مثلاً، يقيم الملك أحشويروش (زركسيس) وليمة لنخبة المملكة؛ وفي الوقت نفسه تدعو امرأته وشتي صديقاتها إلى وليمة للنساء. وفي وسط الاحتفالات يأمر أحشويروش، وقد «طاب قلبه بالخمير»، امرأته البارعة الجمال أن تترك حفلتها لكي «يُري الشعوب والرؤساء جمالها، لأنها كانت حسنة المنظر». وعندما ترفض وشتي المجيء، يطلب الملك الغاضب، الذي أُهين علنًا بعصيان امرأته، المشورة من حكمائه. فيقرّرون عزل وشتي عن منصب الملكة، ومنعها من أن ترى زوجها مرة أخرى. والسبب: إنهم يريدون أن يستبعدوا أي احتمال أن تتبع نساء أخريات في البلاد مثالها ولا يخضعن لأمر أزواجهن. والهدف هو أن «تعطي جميع النساء الوقار لأزواجهن، من الصغيرة إلى الكبيرة».

تُثبت هذه القصة أنه في كل ثقافة قديمة تقريبًا - وفي هذه الحالة في فارس لا في إسرائيل - كان من المسلّم به أن الرجال يقودون في المناصب العامة وأن النساء ينبغي أن يكنّ خاضعات لأزواجهن. وبهذا يُظهر الكتاب المقدس نفسه أن النظام الأبوي نتاج للسقوط، وليس خليفة خاصة لإله إسرائيل.

وقد وجد الرسل أنفسهم في عالم مشابه يسيطر عليه الرجال، عندما بشرّوا بالإنجيل وأسّسوا كنائس في أنحاء الإمبراطورية الرومانية كلها. لقد درسنا أفسس 5 من قبل، لكن خارج هذا المقطع أيضًا تتفق نصيحة الرسل للزوجات المسيحيات في كنيسة القرن الأول. يكتب بولس إلى أهل كولوسي: «أيتها النساء، اخضعن لرجالكن ...»⁶² وإلى تيطس: «[علّم] ... الحدّثات ... [أن يكنّ] خاضعات لرجالهن».⁶³ ويقول بطرس الشيء نفسه: «أيتها النساء، كنّ خاضعات لرجالكن ...»⁶⁴ ولكل من يعترف بسلطة الكتاب المقدس، يبدو هذا للوهلة الأولى واضحًا تمامًا. قد نفترض أن مثال الله الأعلى لكل الزوجات هو أن تخضع المرأة للرجل، لكنني سأدحض هذا الاستنتاج في بقية هذا الفصل، مبينًا أن هذا الافتراض الخاطيء يقوم على قراءة سطحية وخاطئة لهذه النصوص.

كيف نفهم كلمات بولس في الرسالة إلى كولوسي: «أيتها النساء، اخضعن لرجالكن كما يليق في الرب. أيها الرجال، أحبّوا نساءكم ولا تكونوا قساة عليهن»؟ أؤكد أننا، بناءً على تفسيرنا لهذه الآيات، لا نصل إلى نتيجة مختلفة عمّا وصلنا إليه في أفسس 5. فالباحثون متفقون على أن الرسالة إلى كولوسي والرسالة إلى أفسس كُتبتا في الوقت نفسه. ويمكن ملاحظة ذلك أيضًا في نوع من أسلوب «القصّ واللصق» في صياغات مهمة ترد في كلتا الرسالتين. فالآيات السابقة متطابقة تقريبًا في المقطعين. وهي تستخدم المفردات التالية بالترتيب نفسه: «بعضكم بعضًا»، «مزامير»، «تسابيح»، «أغاني روحية»، «في قلوبكم»، «شاكرين كل حين ... لله والآب»، «باسم»، «الرب»، «يسوع»، «المسيح». والفرق هو أن مقطع الرسالة إلى كولوسي، المؤلف من آيتين فقط، هو نسخة مختصرة من مقطع الرسالة إلى أفسس الممتد على ثلاث عشرة آية. فأفسس 5 يوسّع الصياغات الموجزة في الرسالة إلى كولوسي، وبذلك يكشف معناها.

وماذا عن المقطعين الآخرين، تيطس 2: 3-5 و1 بطرس 3: 1؟ هناك أسباب وجيهة للشك في أن بولس وبطرس يفرضان في هذين النصّين على جميع النساء على مدى تاريخ البشرية كله وصيّة عامة بالخضوع لأزواجهن.⁶⁵ فالأمر يتعلق بنصيحة رعوية لأناس من حوض البحر المتوسط في القرن الأول كانوا يلتزمون بقواعد البيت عند أرسطو، وهي بهذه الصفة ليست تابعة من نظام الخليقة، بل من اهتمام مفهوم بالحفاظ على السمعة الحسنة. وسأشرح ذلك.

قواعد البيت

نحن معرّضون لخطر استخدام آيات «أيتها النساء، اخضعن» كنصوص إثبات إذا انتزعناها من سياقها. فلننظر إلى السياق الأدبي، أي إلى المقاطع الأكبر التي نجد فيها هذه الآيات وآيات أخرى مشابهة:

	الزوجات - الأزواج / النساء - الرجال	الأولاد - الوالدون	العبيد - السادة
أفسس	5: 21-33	6: 1-4	6: 5-9
كولوسي	3: 18-19	3: 20-21	3: 22-4: 1
1 بطرس	3: 7-1	لا ذكر	2: 18-25
تيطس	2: 8-1	لا ذكر	2: 9-10

العبيد - السادة	الأولاد - الوالدون	الزوجات - الأزواج / النساء - الرجال	1 تيموثاوس
6: 1-3	لا ذكر	5: 1-16	

ماذا نلاحظ عند تحليل السياق الأدبي؟ أولاً: في كل مرة يُذكر فيها خضوع الزوجة، يكون ذلك جزءاً مما يُسمى «قانون البيت»، الذي تُنظم فيه العلاقات داخل البيت المؤلف من الأزواج والزوجات والأولاد والعبيد. فبحسب تعاليم أرسطو السابقة، كان القانون الروماني يقضي بأن تُنظم البيوت تحت حكم رجل أكبر سناً. وإن لم يكن هناك رجل بالغ، تولّت أكبر النساء سناً هذا الدور. وكان قانون البيت القديم يتبع تراتبية محدّدة بترتيب تنازلي: ربّ البيت، ثم الزوجة، ثم الأولاد والعبيد. بعبارة أخرى: بولس وبطرس لا يعلنان حكمة مستقلة عن السياق يُراد لها أن تسري على جميع الأزواج في بقية التاريخ المسيحي. بل هما يخاطبان سياقاً محدّداً تماماً - تطبيق الإنجيل في بيت عادي من بيوت العالم القديم منظم وفق متطلبات المجتمع الروماني.

ثانياً: لا يُوصى الزوج في أيّ من هذه النصوص بأن يقود. بل تُدعى المرأة فقط إلى الخضوع. فقد افترض الرسل أن القيادة الذكورية كانت تُمارس أصلاً. وما أرادوا تحقيقه بوصاياهم هو تلطيف قيادة الرجل ورفع مكانة المرأة الأدنى. فبطرس وبولس يعلمان النساء أن يقبلن الخضوع كأمر طوعي يقوّيه الإنجيل، بدلاً من أن يكتفين بتحمّل قيادة الرجل.

ثالثاً: في جميع هذه المقاطع - وهذا بالغ الأهمية لحجّة هذا الفصل - **يوضع الخضوع المطلوب من المرأة لرجلها بالتوازي مع الخضوع المطلوب من العبيد لسيّدهم**. وفي موضعين يمتدّ هذا التوازي أيضاً إلى طاعة الأولاد لوالديهم، لكن التوازي مع علاقة السيد بالعبد يُقام في كل مرة.

سأعود بعد قليل إلى التوازي بين العبودية والنظام الأبوي، لكنني أريد أولاً أن أشير إلى أن بولس وبطرس لا يقَدِّمان العبودية ولا خضوع المرأة في الزواج على أنهما مثال أعلى - بل إنهما، كما ينبغي أن يفعل كل القادة الروحيين الصالحين، يساعدان الكنائس التي يعملان معها على **أن تستخلص أفضل ما يمكن من أوضاع تكون أحياناً أبعد ما تكون عن المثالية**. والله يفعل شيئاً مشابهاً في التكوين 16، حين تهرب الجارية هاجر من سيّدها سارة التي أساءت معاملتها. فبعد أن أنقذ الله هاجر وقوّاها، قال لها: «ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يديها».⁶⁶ فمن ممّا يستنتج من ذلك أن أمر الله لها كان تعبيراً عن قصده الأسمى والأفضل لها؟ كلا، بل إن نصيحته الأبوية تساعدنا على أن نستخلص أفضل ما يمكن من وضع أبعد ما يكون عن المثالية. فمن الواضح أنه كان من الأفضل لها ولطفها أن تخضع لسارة بدلاً من أن تهرب إلى البرية.

واليوم أيضاً يكون من الأفضل أحياناً أن نستخلص أفضل ما يمكن من وضع غير مثالي نجد أنفسنا فيه. فعلى سبيل المثال، استُدعي أبي، وكان حديث الزواج، لأداء خدمة عسكرية مدتها سنتان في الجيش الجنوب أفريقي. ومع طفل مولود حديثاً وزوجة شابة في البيت، كان يعلم أن هذا أبعد ما يكون عن المثالية، لكنه لم يكن له خيار. فلم يكن في وسعه إلا أن يستخلص أفضل ما يمكن من وضع سيّئ. وكان البديل هو السجن. وأحياناً ينصح راعٍ كنيسته بالمشاركة في انتخابات ديمقراطية، مع أن الديمقراطية غير مذكورة في الكتاب المقدس، ولذلك ليست بالضرورة مثال الله الأزلي للمجتمع البشري. أما الوعظ ضدها فسيثير ردود فعل معاكسة لا داعي لها. والأمر نفسه ينطبق على نظام البيت عند أرسطو في القرن الأول.⁶⁷

الحرص على السمعة الحسنة

بصرف النظر عن أنهما يساعدان النساء والعبيد على أن يستخلصوا أفضل ما يمكن من وضع غير مثالي - لماذا ينصح بطرس وبولس النساء والعبيد بأن يخضعوا طوعاً لأزواجهم أو لسادتهم، الذين يُوصتون بدورهم

بأن يعاملوا زوجاتهم أو عبيدهم بلطف واحترام؟ نجد في معظم النصوص جوابًا مقنعًا: فيولس وبطرس حريصان على صون مصداقية الكنائس الفتية وجاذبيتها التبشيرية في عيون عالم يراقبها، كانت فيه طاعة النساء والعبيد لرب الأسرة (paterfamilias) هي ببساطة القانون الروماني.

وإليك الأدلة على ذلك في النصوص:

- قبل أن يخاطب بطرس العبيد والزوجات بقليل، ينصح بالخضوع للملك، ويضيف: «لأن هكذا هي مشيئة الله: أن تفعلوا الخير فتُسكتوا جهالة الناس الأغبياء».⁶⁸
- ويقول بطرس للنساء: «كنّ خاضعات لرجالكن، حتى وإن كان البعض لا يطيعون الكلمة، يُربحون بسيرة النساء بدون كلمة».⁶⁹
- ويقول بولس للنساء في كريت: «[كنّ] خاضعات لرجالكن، لكي لا يُجَدَّف على كلمة الله».⁷⁰
- ويقول بولس للعبيد في كريت: «[اخضعوا] لسادتكم ... لكي تزيّنوا تعليم مخلصنا الله في كل شيء».⁷¹
- ويقول بولس للعبيد في أفسس: «جميع الذين هم عبيد تحت نير فليحسبوا سادتهم مستحقين كل إكرام، لئلا يُفتَرى على اسم الله وتعليمه».⁷²
- وفيما يتعلق بجميع توجيهاته التي ينقلها عبر تيموثاوس إلى الكنيسة في أفسس، يكتب بولس: «أوص الناس بهذا لكي يكونوا بلا لوم. ... ولا تعطوا علة للمقاوم من أجل الشتم».⁷³

ماذا يحدث هنا؟ إن رسالة بطرس الأولى بوجه خاص، وكذلك الرسالة إلى تيطس والرسالة الأولى إلى تيموثاوس، هي رسائل إلى كنائس صغيرة، مضطهدة في أحيان كثيرة، تكافح تحت وطأة الآلام. واستراتيجية الشيطان هي أن يوجّه انتباهًا سلبيًا إلى هذه الكنائس. أما الرسالة إلى أفسس فهي وثيقة «داخلية» موجهة إلى المسيحيين وحدهم، من دون اعتبار للغرباء (ولذلك لا ذكر فيها لمشكلات السمعة). وأما في هذه الرسائل الثلاث فالدافع هو معالجة مشكلة خاصة بالموقف، وهي: كيف تبدو الكنيسة في أعين من هم في الخارج. وتقول سينثيا وستفول (Cynthia Westfall) في ذلك:

لقد كانت ثقافة حريصة على الشرف، أدّت فيها أدوار الجنسين دورًا مهمًا. فإذا تصرّفت امرأة كأنها «سيّدة» زوجها بأن تسلّطت عليه، عُدّ ذلك تحدّيًا هدامًا للتراتبية الكاملة في الإمبراطورية الرومانية ولنظام الرعاية. وكانت مخالفات هذه الأعراف تؤخذ بجديّة، وكان يمكن أن تدمر سمعة الكنائس. وكان سلوك النساء يقدّم فرصة مرحّبًا بها للهجمات الجدلية على الكنيسة الأولى وعلى جماعات دينية أخرى.⁷⁴

في عالم كان فيه العبيد والزوجات ملزمين بحكم القانون بالخضوع لرب الأسرة (paterfamilias)، دُعيت هؤلاء الزوجات وهؤلاء العبيد إلى تجاوز الحدّ المعتاد وإلى إخضاع حياتهم طوعًا لأزواجهم أو لسادتهم. ولحسن الحظ كان الرسل قد أعطوا ربّ الأسرة، إن كان مسيحيًا، توجيهات مناسبة حول كيفية الاعتناء الصادق بأفراد بيته.

ولكي نوجز القول: عندما قال بطرس وبولس للنساء إن عليهن أن يخضعن لأزواجهن، لم يكونا بذلك يثبّتان تراتبية بين الجنسين في جميع الزيجات كنوع من المثل المسيحي الأعلى. بل كانا يتكيّفان مع وضع غير مثالي. فبطرس لا يخاطب في السطر الأول من رسالته مؤمنين يعيشون في مجتمع مستقبلي كامل، بل «المتغربين المشتتين في كل الأقاليم» – فنحن غرباء نبذل قصارى جهدنا لتتكيّف، حتى ونحن نعيش مواطنتنا الحقيقية في ملكوت الله. وإذا أخذنا في الاعتبار أعراف البيت القديمة، فينبغي أن نفهم هذه النصوص على أن الكنيسة تُحَثّ على تجاوز الأعراف الثقافية دون أن تثور عليها علنًا. فقد كان على بطرس

وبولس أن يعمل داخل أنظمة ناقصة، لأن الموظفين الرومان كانوا يبحثون عن أي ذريعة لسجن المسيحيين. وكان أيّ تحدّي سيجرّ على هذه الكنائس الصغيرة تحقيقات واضطهادًا. ومن اللافت أنه بعد كتابة رسالة بطرس الأولى والرسالة إلى تيطس والرسالة الأولى إلى تيموثاوس لم تمضِ إلا سنوات قليلة حتى أُعدم كاتبها، بطرس وبولس، بتهمة الإخلال بالنظام الروماني.

«أيها العبيد، اخضعوا ... كذلك أيتها النساء، اخضعن»

يُطلب من تيطس أن يعلم النساء أن يخضعن لأزواجهن (2: 3-5)، وبعد ذلك بقليل يُقال له أيضًا إن العبيد ينبغي أن يخضعوا لسادتهم (2: 9).

ويعكس بطرس ترتيب بولس: فهو يتحدث أولاً عن العلاقات بين العبيد والسادّة، ثم عن العلاقات بين الزوجات والأزواج. ففي 1 بطرس 2: 18 يُدعى العبيد إلى الخضوع لسادتهم بكل هيبة – ليس للصالحين المترقّقين فقط، بل للعنفاء أيضًا؛ ثم نقرأ في 3: 1 أن النساء ينبغي أن يخضعن لأزواجهن بالطريقة نفسها. ويقوّي بطرس باختياره للكلمات الصلة بين هذه التوجيهات: «أيها الخدّام ... اخضعوا ... كذلك أيتها النساء ... اخضعن ...!»

لننتقل الآن إلى الحجّة المحورية في هذا الفصل: إن التوجيه بأن تخضع الزوجات يفسّره التكامليون على أنه خالد وصالح لكل زمان ومكان. أما التوجيه الموازي بأن يخضع العبيد، فنحن البشر المعاصرين الذين تركنا العبودية وراءنا نفهمه على أنه مرتبط بالظروف.

ولأن التاريخ يعيد نفسه حين لا يتعلّم منه أحد، سأشرح هذه الفكرة بشيء من التفصيل.

المقاومة المسيحية لإلغاء العبودية

دعاة إلغاء العبودية المسيحيون، مدفوعين بإدراكهم لعدل الله، تغلّبوا أولاً سنة 1833 على العبودية كمؤسسة في المملكة المتحدة، ثم امتدّ تحرير العبيد مع الزمن إلى بلدان أخرى أيضًا. فقد وضع أشخاص مثل وليم ويلبرفورس (William Wilberforce)، وجون وسلي (John Wesley)، وجون نيوتن (John Newton)، وتشارلز فيني (Charles Finney)، والأختين غريمكي (Grimké)، وهارييت ستو (Harriet Stowe)، وأولاودا إكويانو (Olaudah Equiano)، وفريدريك دوغلاس (Frederick Douglass)، في النهاية حدًا ظافرًا ودائمًا لمؤسسة العبودية. وجميع المسيحيين المعاصرين يحبّون أن يرووا قصص أبطال التغيير الاجتماعي هؤلاء.

أما الأقل شهرة – وربما ننساه عمدًا لأنه عار على المسيحيين اليوم – فهو أن أكبر معارضي إلغاء العبودية في الولايات المتحدة كانوا المسيحيين في جنوب البلاد. بل إن أكبر طائفة في الولايات المتحدة اليوم، المعمدانيين الجنوبيين، انشقت سنة 1845 عن المعمدانيين الشماليين بسبب هذه المسألة بالذات.

وحتى القرن الثامن عشر كان معظم المسيحيين يعتقدون أن العبودية كتابية؛ وكانوا يقصدون بذلك أنها مقبولة لدى الله. وقد طوّر لاهوتيون أمناء للكتاب المقدس في أمريكا، مثل روبرت دابني (Robert Dabney) وج. ه. ثورنويل (J. H. Thornwell)، حججًا كتابية مقنعة للإبقاء على العبودية. وكتب تشارلز هودج (Charles Hodge)، أعظم لاهوتي مُصلّح في عصره، مقالة بعنوان *The Bible Argument on Slavery* [الحجّة الكتابية بشأن العبودية]، احتجّ فيها على النحو التالي:⁷⁵

- الله أسّس العبودية. فبحكمه على حام بن نوح بأن يكون عبدًا،⁷⁶ أسّس الله نفسه العبودية.

- **الله استحسن العبودية.** فحتى إبراهيم وداود وأيوب كان لهم عبيد.
- **شريعة موسى دعمت العبودية.** فمثلًا تفترض الوصيتان الرابعة والعاشرة من الوصايا العشر أن شعب الله يملك عبيدًا. وفوق ذلك أجازت شريعة موسى استعباد اليهود المعدمين وأسرى الحرب.⁷⁷
- **يسوع لم يتكلم قط ضد العبودية.** وما لم يدنه، فلا بد أنه أقرّه.
- **الرسل أمروا العبيد بأن يخضعوا لسادتهم.** لقد نظّموا العبودية دون أن يدينوها.
- **الرسل استخدموا العبودية لتوضيح جانب إيجابي من الإنجيل** – فنحن «عبيد المسيح» ينبغي أن نطيع طاعة كاملة الربّ الذي ننتمي إليه.

حاول قلّة من اللاهوتيين أن يغيّروا رأي هذه الأغلبية من اللاهوتيين، لكنهم فشلوا. ففي مناظرة دامت أربعة أيام سنة 1845 مثلًا، فحص المناهض للعبودية جوناثان بلانشارد (Jonathan Blanchard) «المبادئ العامة للكتاب المقدس» و«الطيف الكامل للأسفار المقدسة». وكان من الواضح بالنسبة إليه أن «مبادئ الكتاب المقدس هي العدل والبرّ». ورأى أنه يمكن إثبات أي شيء تقريبًا باقتباسات من الكتاب المقدس، وأن المرء يمكن أن يصل بذلك إلى استنتاجات تناقض الحقائق العليا في الكتاب المقدس.

وللأسف كان المسيحيون المؤمنون بالكتاب المقدس في الجنوب مقتنعين إلى حدّ أن الله يستحسن العبودية، حتى إنهم كانوا مستعدين لحمل السلاح في حرب أهلية كلّفت أكثر من نصف مليون نفس بشرية، دفاعًا عن حقهم في الإبقاء على العبودية! صحيح أن الحرب الأهلية لم تعن نهاية العنصرية في الجنوب الأمريكي، لكنها أدلّت المسيحيين الذين كانوا يملكون العبيد إلى حدّ أنهم اضطروا في النهاية إلى الاعتراف بأن العبودية كانت خطأ. وقد دفعهم التحوّل الثقافي الذي لا يُقاوم – مدفوعًا بحسّ العدالة – إلى العودة إلى الكتاب المقدس، حيث أدركوا ببطء ولكن بثبات خطأ ما كانوا يفعلونه. واليوم يؤمن جميع اللاهوتيين عمليًا بأن الكتاب المقدس، إذا فهم فهمًا صحيحًا، لا يدعم العبودية، رغم الحجج «الكتابية» الكثيرة التي سبقت في الماضي، وبأن هذه الممارسة خطيئة.

مقارنة بين العبودية والنظام الأبوي

لنفحص الآن أوجه الشبه بين العبودية والنظام الأبوي، أي الافتراض السائد في الحضارة منذ القدم بأن الرجال ينبغي أن يقودوا. ولننظر كم يسهل بناء سلسلة حجج مشابهة إذا قُيّر الكتاب المقدس تفسيرًا تكامليًا.⁷⁸

- **الله أسّس السلطة الذكورية.** ففي جنة عدن قبل السقوط جعل الله آدم رأسًا لحواء.
- **الله أقرّ السلطة الذكورية.** فالآباء البطارقة، لا الأمهات، هم الذين قادوا شعب الله. والملوك، لا الملكات، يهيمنون على تاريخ إسرائيل.
- **شريعة موسى دعمت السلطة الذكورية.** فالوصية العاشرة تقول إننا لا ينبغي أن نشتهي امرأة قريبنا ولا حمارة ولا سائر ممتلكاته. والكهنة يجب أن يكونوا ذكورًا لا إناثًا.
- **يسوع لم يتكلم قط ضد سلطة الزوج.** وما لم يدنه، فلا بد أنه أقرّه.
- **الرسل أوصوا النساء بأن يخضعن لأزواجهن.** لقد نظّموا النظام الأبوي دون أن يدينوه.
- **الرسل استخدموا سلطة الزوج لتصوير جانب إيجابي من الإنجيل،** يمثّل فيه الزوج المسيح الربّ، وكان على الزوجة أن تخضع لزوجها كما للمسيح نفسه.

هل ترون أوجه الشبه اللافتة والمُوقظة بين محاولات تبرير العبودية والنظام الأبوي بالكتاب المقدس؟ حتى أكبر كنيسة في العالم تعترف الآن بالتوازي بين نصّي «أيتها النساء، اخضعن» و«أيها العبيد، اخضعوا»: ففي سنة 1988 عبّر البابا يوحنا بولس الثاني (Johannes Paul II) بوضوح تام عن رأيه بأن استخدام كتابات بولس في أفسس 6 لتبرير العبودية لا يختلف عن استخدام أفسس 5 لتبرير خضوع المرأة في الزواج.⁷⁹

تفاح وكُمثرى؟

كيف يتجاوب اللاهوتيون التكامليون مع هذا التشابه؟ يقول جورج نايت (George Knight) إن نصّي «أيتها النساء، اخضعن» و«أيها العبيد، اخضعوا» مختلفان جدًّا – «تفاح وكُمثرى». لماذا؟ سأقتبس مقالة⁸⁰ لأحد اللاهوتيين التكاملين البارزين، سام ستورمز (Sam Storms)، يذكر فيها ستة أسباب تجعلنا، في رأيه، قادرين على إدانة العبودية وتأييد خضوع النساء في الوقت نفسه. سأقتبسه نقطة نقطة، وأضع كلماته بخط مائل وبين علامتي تنصيص، ثم أتناول كل حجة على حدة:

أولاً: «من المعروف عن الكتاب المقدس أنه ينظّم علاقات غير مرغوب فيها دون أن يقرّها كمثُل دائمة (انظر متى 19: 8؛ 1 كورنثوس 6: 1-8). فبولس، بتوجيهاته بشأن العلاقة بين العبيد والسادة، لا يقول إن العبودية مؤسسة صالحة».

إذن يفهم ستورمز تمامًا أن الله مستعدّ للتكيّف مع البنى الاجتماعية. حسنًا! لكن هذه بالضبط هي الحجة التي ينبغي أن تُساق بشأن خضوع الزوجة المفروض ثقافيًّا لربّ الأسرة (paterfamilias) في العالم اليوناني الروماني – فالكتاب المقدس ينظّمه دون أن يقرّه.

ثانيًا: «مؤسسة العبودية ليست مؤسسة على الخليقة، بل هي بالأحرى تشويه ناتج عن السقوط. أما الزواج والأولوية الذكورية فهما جزء من النظام الأصلي المخلوق الذي كان قائمًا قبل السقوط».

هنا يسيء ستورمز فهم التكوين 2 و3، ويرفع إلى مرتبة المثال شيئًا هو، بحسب التكوين 3: 16، نتيجة مباشرة للسقوط لا للخليقة.

ثالثًا: «في مواضع عدّة تُزرع بذور إلغاء العبودية. انظر فليمون 16، أفسس 6: 9. لكن لا شيء في العهد الجديد يشير إلى أن الأمر نفسه كان مقصودًا للعلاقة بين الزوج والزوجة».

هذا غير صحيح. فغلاطية 3: 28، و1 كورنثوس 7، والتفسير الصحيح لأفسس 5، ولا سيما تعليمه عن الخضوع المتبادل، هي بالفعل «بذور لتفكيك» السيادة الذكورية في الزواج.

رابعًا: «إذا استُخدمت حجة العبودية لإبطال خضوع المرأة لزوجها، أفلا يُبطل ذلك أيضًا خضوع الولد لوالديه؟ لاحظوا كيف يعالج بولس في أفسس 5-6 العلاقات بين الزوج والزوجة، وبين الوالدين والأولاد، وبين العبيد والسادة».

يستخدم ستورمز الكلمة الخاطئة: فالأولاد ينبغي أن «يطيعوا»، في حين أن الزوجات والعبيد ينبغي أن «يخضعوا». وهذا يربط الزوجات والعبيد بطريقة فريدة. ويبدو أن ستورمز يفترض أيضًا أن الوالدين والأولاد في تلك الثقافة كانوا سيقرأون الآيات المتعلقة بالوالدين والأولاد كما نقرأها نحن اليوم في الغرب. ولكن من ممّا يصّر على أن يطيع أولادنا والديهم حتى عمق سنّ البلوغ؟ أما قارئ القرن الأول فكان سيفهم أفسس 6 على أن بولس يوصي حتى الأولاد البالغين بأن يطيعوا والديهم، لا أن يكرمهم فحسب.⁸¹

ولكن حتى لو كانت علاقة الوالدين بالأولاد آنذاك هي نفسها اليوم (وهي لم تكن كذلك)، فإن التراتبية القائمة على الجنس في الزواج تختلف كثيرًا عن التراتبية القائمة على الأجيال في علاقة الوالدين بالأولاد. فكون أولادنا الصغار لا يعرفون إلا القليل عن الحياة وعن حكمة الحياة يضعهم في موقع يكون فيه الاعتماد والطاعة هما الأفضل لهم، ولذلك يلتزم بهما حتى في الثقافات المساواتية. وهذا لا ينطبق على زواج بين بالغين متعلّمين. فهدف التربية الوالدية هو أن نقود أولادنا إلى ما بعد الاعتماد والطاعة، لكي يتمكنوا في النهاية من رئاسة أسرهم الخاصة، فيصيروا بذلك متساوين معنا (كما يلمّح بولس في أفسس 5: 31). ولذلك سيكون من الخطأ محاولة فرض قيادة الوالدين على الولد مدى حياته كلها. فلماذا إذن ينبغي أن نكون واثقين إلى هذا الحدّ من أنه من الصواب أن نفعل ذلك مع شريك حياتنا؟

خامسًا: «في توجيهات بولس للعبيد لا تُذكر أيّ وصية أخلاقية دائمة أو أيّ مبدأ أخلاقي مطلق فيما يتعلق بالعبودية».

هنا يكرّر ستورمز النقطة الأولى. لكن انظروا إلى الكلمات في 1 بطرس 2-3: «أيها الخدّام، كونوا خاضعين ... لسادتكم ... كذلك أيتها النساء، كنّ خاضعات لرجالكن». فعلى أيّ أساس يثق ستورمز بأن الأولى ليست وصية أخلاقية دائمة، في حين أن الثانية كذلك؟ إن رأيه غير متّسق.

سادسًا: «يتوقّع بولس صراحةً إمكانية أن ينال العبد حريته ويؤيّد ذلك (1 كورنثوس 7: 21). أما فيما يتعلق بالزوجات وخضوعهن لأزواجهن فلا يقول شيئًا مماثلًا».

وسبب ذلك أن الزواج، بخلاف العبودية، هو بحسب خطة الله وحدة الجسد الواحد.⁸² لقد كان التحرّر من العبودية أمرًا مرغوبًا فيه، لأنه يمثّل فداء مؤسسة العمل التي ربّنها الله. وعلى نحو مماثل، فإن التحرّر من النظام الأبوي هو فداء مؤسسة الزواج التي ربّنها الله. وهدف بولس من كتابة أفسس 5 هو أن يحقق في تلك الثقافة زواجًا أقرب ما يكون إلى المساواة، من دون أن يبعث برسالة ثورة على قواعد أرسطو.

وكل ذلك يعني أنه، خلافًا لما يدّعيه جورج نايت وسام ستورمز، تتشابه العبودية والنظام الأبوي تشابهًا كبيرًا – فهما ليسا تفاعلًا وكثيرًا على الإطلاق، بل ثمار فاسدة من الشجرة الساقطة نفسها. فالعبودية في مبدئها شديدة الشبه بفكرة قيادة الرجل لزوجته. وسواء أكانت هاتان الممارستان في صورتهم خيترتين أم وحشيتين، فكلتاهما نتاج عالم ساقط. ولا معنى لأن يدين المرء من جهة حتى العبودية «الخيرة» – كما يفعل جميع المسيحيين اليوم –، بينما يكون في الوقت نفسه حصنًا للنظام الأبوي «الخير».

وإذا كان من الآثار البعيدة المدى للإنجيل في المجتمع أنه يزيل العبودية، فإنه يضرب النظام الأبوي بالحجر نفسه. ولهذا السبب تطرح كلاريس مارتن (Clarice Martin)، في مقالة لافقة عن تفسير الكتاب المقدس لدى الأمريكيين من أصل أفريقي، سؤالًا كاشفًا: «كيف يمكن للوعاظ واللاهوتيين السود من الرجال أن يطبقوا تأويلًا ليبراليًا حين يعطون ويكتبون عن العبيد، لكن تأويلًا حرفيًا حين يتعلّق الأمر بالنساء؟»⁸³

دروس من ظلم الماضي

بإنكار أوجه الشبه بين العبودية والنظام الأبوي، يكرّر اللاهوتيون التكامليون خطأ المسيحيين المعارضين لإلغاء العبودية في الجنوب الأمريكي، ويضعون الكنائس التي تثق بفطنتهم اللاهوتية مرة أخرى في موقف مرجح لكنيسة يسوع، فيطيلون بذلك أمد الحظّ من قدر بعض أعضائها.

وما يجعل كل هذا أكثر مأساوية هو أن أكثر المدافعين عن السيادة الذكورية تأثيرًا في العالم كله هم المعمدانون الجنوبيون، وهي جماعة إيمانية تنتمي إليها كنيسة من كل أربع كنائس أمريكية. وهم يواصلون

نشر أفكارهم في العالم كله عبر لاهوتيتهم البارزين ووسائل إعلامهم. ويبدو أن تحذير جورج هيغل (Georg Hegel) يتحقق: «الشيء الوحيد الذي نتعلّمه من التاريخ هو أننا لا نتعلّم شيئاً من التاريخ».

فما الذي ينبغي للكنيسة اليوم أن تتعلّمه بالضبط من أخطاء المسيحيين المعارضين لإلغاء العبودية؟ أولاً: من الممكن أن يصل المرء إلى قناة عبر أعمال «علمية» واسعة تتضمن نصوصاً من الكتاب المقدس كله – كما هو الحال لدى طوائف بأكملها ومدارس لاهوتية بأكملها – ومع ذلك يكون على خطأ.

ثانياً: من الممكن أن تتطوّر الثقافة في اتجاه إيجابي هو في الحقيقة نتيجة مبادئ مسيحية ضربت جذورها في هذه الثقافة على مدى آلاف السنين. فعلى سبيل المثال، إن «الماغنا كارتا للبشرية» التي كتبها بولس في غلاطية 3: 28 هي المرة الأولى في التاريخ التي يصوغ فيها أحد بهذه القوة فكرة المساواة ونهاية التراتيبات الاجتماعية. فكم ندين حقاً لهذه الآية في إلغاء العبودية والسيادة الذكورية في المجتمع؟ وبدلاً من أن تصدّ الكنيسة تأثير الإنجيل في المجتمع، أو أن تهاجمه حتى، ينبغي لها أن تنسبه إلى نفسها وأن تحتفل به.

ثالثاً: من الممكن أن تضع الاكتشافات وأوجه التقدّم في المجتمع تفسيراً قائماً منذ زمن طويل للكتاب المقدس موضع تساؤل. فعندما كان معظم الناس يعتقدون أن العالم مسطح أو أن الأرض مركز الكون، كانت لدى الكنيسة آيات من الكتاب المقدس تدعم ذلك. وعندما دحضت الاكتشافات العلمية ذلك، أتاح لنا هذا أن نقرأ الكتاب المقدس بطريقة جديدة وأن نرى ما كان مكتوباً فيه دائماً. وعندما اجتاحت الثورة الصناعية والموجات الأولى لما صار لاحقاً حركة حقوق المرأة الغرب، نالت النساء لأول مرة فرصة إثبات ذكائهن وقدرتهن على الإنجاز المماثلين لما لدى الرجال. وبدلاً من أن نرى في ذلك تهديداً، فهو بالأحرى فرصة لنا لننظر من جديد إلى الكتاب المقدس نفسه ونسأل: ما الذي كنّا نغفله طوال هذا الوقت؟

رابعاً: ينبغي تجنّب أخطاء التفسير الشائعة. فلتفسير أجزاء الكتاب المقدس المفردة لا بدّ من الاستعانة بالكتاب المقدس كله. فمن السهل جدّاً تجميع «نصوص إثبات» تُفهم هي نفسها فهماً خاطئاً. ويجب ألا ننسى أن أسفار الكتاب المقدس، وإن كانت قد كُتبت لأجلنا، فإنها ليست موجّهة إلينا. فلا بدّ أن نتعمّق في السياق التاريخي الذي كُتب فيه النص، قبل أن نستخلص الرسالة الخالدة التي يمكننا عندئذ أن نطبّقها على زماننا وسياقنا.

خامساً: المصلحة الذاتية والتفكير الجماعي قد يجعلاننا نقرأ الكتاب المقدس بانحياز شديد. (ستجدون مزيداً من المعلومات عن هذا الموضوع في الملحق 6.) فعادةً يقاوم الناس (والمسيحيون أيضاً) كلّ ما يهدّد مكانتهم أو امتيازاتهم. فهل كان ينبغي أن يكون للاهوتيين الذين امتلكوا عبيداً الصوت الأعلى في المناظرات اللاهوتية في القرن التاسع عشر؟ وهل يجوز أن يكون الأشخاص الذين سيخسرون وظائفهم وسمعتهم كرامة أو قادة أو أساتذة في كنائس وخدمات ومعاهد تكاملية هم الأصوات المهيمنة في هذه المسألة اليوم؟

سادساً: تفسير الكتاب المقدس يحتاج إلى الكنيسة كلها. فليس من الحكمة أبداً أن نتجاهل أجزاءً من الكنيسة ترى الأمور على نحو مختلف عتاً، أو أن نستخفّ بها. إن وصف أناس يحبّون الكتاب المقدس بإخلاص بأنهم «متكيّفون مع الثقافة» أو «ليبراليون» قد يكون شكلاً من أشكال التصامم عن صوت الله. فالأشخاص الذين نتهمهم بأن لديهم «نظرة متدنيّة» إلى الكتاب المقدس قد يكون لديهم فهم لأجزاء منه أفضل بكثير مما لدينا.

وأخيرًا، إن التمسك بممارسات اجتماعية خاطئة بعد أن تخلّى عنها سائر المجتمع لا يفيد مصداقية الكنيسة في المجتمع في شيء. ففي رأيي، إن استمرار الكنيسة في أن تكون حصنًا للنظام الأبوي هو بالقدر نفسه تدمير للذات مثل استمرارها في استخدام الكتاب المقدس لتبرير العبودية. ففي القرون التي كانت فيها الثقافة والكنيسة متفقتين إلى حدّ ما على أن العبودية مقبولة، بل كانت الكنيسة تمتدح أخفّ صورها، لم يُلحق الانضمام إلى ذلك ضررًا كبيرًا بسمعة الكنيسة. ولكن تخيلوا كيف سيُستقبل الأمر لو قرّرت أسرة مسيحية معاصرة في الغرب أن «تطيع الله» بأن تمتلك عبيدين ووفقا على هذه الممارسة لأسباب كتابية؟

وكان الأمر مشابهًا ما دامت الكنيسة متّفقة مع القناعة الثقافية التي صاغها جان جاك روسو (Jean-Jacques Rousseau): «ينبغي أن يكون الرجل قويًا وفاعلاً؛ وينبغي أن تكون المرأة ضعيفة ومنفعلة؛ فلا بدّ أن تكون للأول القوة والإرادة معًا؛ ويكفي أن تُبدي الأخرى مقاومة قليلة»⁸⁴. في ذلك الحين لم يكن الانضمام إلى النظام الأبوي مضرًا كثيرًا بسمعة الكنيسة. أما الآن، وقد صار حتى مسلسل تلفزيوني حائز على جوائز مثل *The Handmaid's Tale* قائمًا على «فضائح» خضوع المرأة، فإننا ككنيسة لسنا بعيدين جدًّا عن تلك الأسرة المعاصرة المتخيّلة التي تملك عبيدًا، حين نعلّم بناتنا أن يخضعن للسلطة الأحادية الجانب لأزواجهن، ونمنع النساء ذوات المواهب في التعليم والقيادة من أن يعلّمن ويقدن.⁸⁵

وإذا وسّعنا نحن المسيحيين المساواة للنساء إلى ما بعد النطاق المنزلي لتشمل الكنيسة والمجتمع، فلن نجعل زيجاتنا أكثر انسجامًا فحسب، بل سنقوّي أيضًا مصداقية إنجيلنا في ثقافتنا. وما نسيه مواطنونا - لكننا نستطيع أن ندكرهم به - هو أن الارتقاء الحالي بمكانة المرأة في ثقافتنا متجذّر تاريخيًا في التأثير البطيء لإنجيلنا الذي يمنح الكرامة، وفي معرفة صفات الله المحبّة والعدالة. ففي النهاية، لم يعرف الله منذ زمن طويل أيّ قيود تكاملية، بل مكّن النساء من أن يُطلقن مواهبهن بالكامل - بما في ذلك إمكانية أن يُقدن الرجال ويعلمنهم بقوة.

الحواشي

1. Richard Hays, *First Corinthians*, ص. 116.

2. حتى إن سرت في زواج ما السلطة والخضوع، فهذا لا يعني أن المرأة لا يمكن أن تكون لها سلطة على زوجها في مجال آخر. فدورة مثلًا، امرأة لفيدوت، ربما كانت تتلقّى الأوامر من زوجها في البيت في الثقافة الأبوية التي عاشت فيها، ومع ذلك كانت قائدة ناجحة في بلادها. وحتى زوجها كان عليه هناك أن يتلقّى الأوامر منها. قد يبدو هذا معقدًا، لكنه ليس متناقضًا، لأنه لا يوجد في الكتاب المقدس موضع يُذكر فيه خضوع المرأة في الزواج سببًا لعدم جواز توليها دورًا قياديًا في الكنيسة وفي المجتمع.

3. على سبيل المثال الصغير، وجدت آراءً بروح التكاملية ذات النقطة الواحدة لدى ن. ت. رايت (N. T. Wright) من أوروبا الغربية، وهايك هوفهانيسيان (Hayk Hovhannisyian) من أوروبا الشرقية، وكذلك سابقًا لدى مايكل بيرد (Michael Bird) من أستراليا. أما الذين توّظطوا عميقًا في «الحروب» بين المساواتية والتكاملية في الولايات المتحدة، فربما لا يرون هذا الاحتمال. يوضّح ن. ت. رايت: «جزء من المشكلة، ولا سيما في الولايات المتحدة، هو أن الثقافات تستقطب إلى حدّ أن كثيرًا من الناس، حين يضعون علامة في خانة واحدة، يفترضون أن عليهم أن يضعوا علامة في درّينة خانات أخرى في الجهة نفسها - من غير أن يدركوا أن الجهة نفسها اعتباطية للغاية ومرتبطة بالثقافة». حين يُقال لنا شيء مرات كافية، نميل إلى تصديقه. فإن أشرت إلى نجمين في سماء الليل وقلت: «هذان النجمان مرتبطان أحدهما بالآخر. إنهما يكوّنان كوكبة تُسمّى "المؤشرين"»، فإن سامعي سيتخيّل خيطًا غير مرئي يصل بين هذين النجمين. وفي كل مرة ينظر فيها إلى السماء، سيلفت نظره «تلازمهما». وفي الحقيقة هما نجمان منفردان تفصل بينهما ملايين السنين الضوئية. ولا يبدو أن قرييين أحدهما من الآخر إلا من زاوية نظر معيّنة في مجرّتنا. وكذلك الأمر مع رئاسة الرجل ومنصب الشيخ - فهما نجمان منفردان منفصلان. وليس بالضرورة مرتبطين أحدهما بالآخر في قصد الله، ولا هما مرتبطان بالتأكيد في الكتاب المقدس.

4. Beth Allison Barr في *The Making of Biblical Womanhood* (الفصل 6) تقتبس *Happily Ever After*.

5. لكن لاهوتيين تكامليين معروفين يدّعون هذا بالضبط خطأ! فأندرياس كوستنبرغر (Andreas Köstenberger) مثلاً يكتب في *God, Marriage, and Family* (ص. 250): «أكّد يسوع خطة الله الخالق الأصلية للزواج، باقتباسه التكوين 1: 27 و2: 24 كليهما (متى 19: 4-6 والمواضع الموازية). وبذلك أكّد ربّنا بحزم وتشديد تصميم الله الأصلي للزواج، حيث الرجل هو الرأس والمرأة هي الشريكة الخاضعة المساندة».

6. Wayne Grudem, *Evangelical Feminism*, الفصل 1.
7. John Piper, *Recovering Biblical Manhood and Womanhood*, الفصل 1.
8. Ed. و Gaye Wheat, *Intended for Pleasure*, الطبعة الرابعة، ص. 30-31.
9. Kevin Leman, *Sheet Music*, ص. 54.
10. Tim و Kathy Keller, *The Meaning of Marriage*, الفصل 2.
11. Tim و Kathy Keller, *The Meaning of Marriage*, الفصل 6.
12. Tim و Kathy Keller, *The Meaning of Marriage*, الملحق.
13. Timothy Keller, *The Timothy Keller Sermon Archive*, 2012-2013.
14. للاستماع: www.bit.ly/2ZPRZGH.
15. يصوغ جون بايبر الحجّة على النحو التالي: «في العلاقة بين الرجال والنساء في الكنيسة ينبغي أن يتولّى الرجال القيادة، على غرار تولّى الزوج القيادة في البيت (أفسس 5: 22-33)». ومن اللافت أن إحدى أكبر الكنائس في قارتي تسمح للنساء بالوعظ وقيادة الكنيسة. لكن بسبب تشديدها على خضوع الزوجة نشأت هناك ثقافة غريبة: فهؤلاء الواعظات والراعات يرفضن الزواج، لأن أعضاء الكنيسة يأخذون دورهنّ القيادي بجديّة أقلّ في اللحظة التي يتزوّن فيها.
16. للاستماع: www.bit.ly/2ZPRZGH.
17. التكوين 3: 16.
18. Elaine Storkey, *Scars across humanity: Understanding and Overcoming Violence Against Women*, ص. 210.
19. تنتشر الأفكار خارج حدود الكنائس. ولذلك علينا أن نطرح أيضًا السؤال عن تأثير المفاهيم المسيحية في الثقافة عموماً. فإن علّمت كنيسة أن خضوع المرأة للرجل هو مثال الله الأعلى، فإن ذلك لا يُسهم في منع العنف القائم على النوع الاجتماعي. أما إن شدّدت الكنيسة على أن مثال الله الأعلى للزواج قائم على التبادلية، فإن ذلك يُسهم بالتأكيد في الحدّ من العنف الأسري.
20. انظر www.ab.co/3bHZF05 و www.bit.ly/3GNbrVt.
21. www.bit.ly/3nVy1CK.
22. Eggerichs, *Love & Respect*, ص. 221. وقد أطلق هذا الادّعاء من غير أن يستند إلى دراسات أو إلى أدلّة خارجية أخرى.
23. Sheila Gregoire, *The Great Sex Rescue*, الفصل 2. وتصل دراسة لمعهد غوتمان (Gottman) إلى النتيجة نفسها. يكتب جون غوتمان (John Gottman) في كتابه «Die sieben Prinzipien für eine glückliche Ehe» أنه «من الناحية الإحصائية يبلغ احتمال فشل الزواج 81 %، إن لم يكن الرجل مستعدّاً لتقاسم السلطة مع شريكته».
24. Sheila Gregoire, *The Great Sex Rescue*, الفصل 2.
25. Sheila Gregoire, *The Great Sex Rescue*, الفصل 2.
26. في مقابلة ضمن بودكاست، يدافع آلان فرو عن نموذج «صاحب الكلمة الفصل» [tiebreaking] بحجّة أنه، بوصفه راعياً، يلاحظ في إرشاده للزيجات المساواتية أن «هناك توترات كثيرة لأنهم لا يعرفون من سيّخذ القرار». يمكن الاستماع إليه هنا: www.bit.ly/2ZPRZGH. ولكن هل يصحّ هذا حقاً بوجه عام؟ إن انطلقت من خبرتي في الزواج ومن الأزواج الذين أرشدتهم، فإن تصوّر المرأة بأن سلطة زوجها تسري حين لا يتفقان يؤدّي في الواقع إلى توترات هائلة في الزواج. ويؤكّد كثير من المرشدين المسيحيين أن ما يساعد أكثر في التعامل مع التوترات في الزيجات المسيحية الكثيرة النزاعات ليس إدخال مرجعية للقرار متمثلة في الزوج، بل التخلّي عنها. بل يجب على الزوجين أن يتعلّما الإصغاء حقاً أحدهما إلى الآخر، وأن يخبّتا أحدهما الآخر، وأن يؤخّرا خططهما الخاصة لصالح الآخر. لقد سمعتُ ما يكفي من قصص نساء يحاولن يائسات أن يخضعن لسلطة القرار الفاصل لدى أزواجهنّ، ومع ذلك يتألّمن بسببها. وحين أتخيّل الأدوار معكوسة وأضع نفسي مكان زوجة تتبنّى بشغف رأياً في أمر معيّن، بينما يتبنّى زوجها بالشغف نفسه رأياً آخر ويتخذ القرار في النهاية، يتّضح لي أن مفهوم سلطة القرار الفاصل قد يُرغم الرجل على مخالفة كلمات يسوع: «فكلّ ما تريدون أن [لا] يفعل الناس بكم، [لا] تفعلوه أنتم أيضاً بهم هكذا».
27. متى 24: 10؛ لوقا 12: 1؛ 1 كورنثوس 7: 5؛ 11: 33.
28. وثمة حجّة أخرى للتكاملين تقول: إن كان الخضوع المتبادل (في أفسس 5: 21) يسري على أزواج العلاقات الثلاثة كلها (الزوج-الزوجة، الوالدون-الأولاد، السادة-العبيد)، فلا يمكن لبولس أن يقوِّض مفهوم القيادة والخضوع في الزواج، لأن الزوجين الثاني والثالث من العلاقات هرميّان بطبيعتهما. لكنني أفهم أفسس 5: 21 فهماً مختلفاً: فهو ليس عدداً إطارياً للأزواج الثلاثة كلها، بل مجرّد عدد انتقالي إلى القسم الجديد من رسالة بولس، يطبّقه تحديداً على العلاقات الزوجية. وهذا نهج أفضل بكثير من نهج تكاملين مثل شرايبر ونايت، اللذين يقبلان فكرة الخضوع المتبادل للأزواج والزوجات على السواء، لكنهما يعيدان صياغتها على نحو غريب إلى: «المرأة تخضع لدورها بوصفها زوجة مطيعة، بينما يخضع الرجل لدوره بوصفه قائداً بآلاً لنفسه». لكن بولس لا يدعوهم بوضوح إلى الخضوع لأدوارهما، بل إلى أن يخضع أحدهما للآخر.
29. رومية 13: 1.
30. «بما أن hypotassō تتضمن فكرة أن يكون المرء في منزلة أدنى من منزلة شخص آخر، فإن الكلمة تصلح للخضوع للسلطات وللخضوع في العلاقات الشخصية بين المتساوين على حدّ سواء. ففي الحالة الأولى هناك ترتيب موضوعي للمراتب في تسلسل هرمي: فالمسيحيون مثلاً خاضعون لسلطة الحكومة المدنية، ولذلك يجب عليهم أن يخضعوا لهذه السلطة. وفي الحالة الثانية يكون ترتيب المراتب ذاتياً: فالمؤمنون ينبغي أن يضعوا أنفسهم تحت الآخرين، كأنهم في تسلسل هرمي؛ أي إن

- عليهم أن يعاملوا الآخرين كأنهم أهمّ منهم؛ وهذا هو جوهر التواضع المسيحي (رومية 12: 10؛ فيلبي 2: 3).» (Andrew Bartlett, *Men and Women in Christ*, ص. 36)
31. تكتب سينثيا وستفول (Cynthia Westfall) في *Paul and Gender* (الفصل 1): «يشكّل أفسس 5: 18-23 في اليونانية جملة واحدة، والتوجيهات الموجهة إلى الزوجات في العدد 22 – بسبب حذف الفعل "يخضع" في العدد 22 – تابعة نحوياً للخضوع المتبادل في العدد 21.»
32. يبدو أن بولس يحمي هذا المعنى لـ «يخضع» في رسالته، إذ يختار في الأعداد التالية كلمة أخرى – «أطيعوا» – لعلاقة الوالدين بالأولاد وعلاقة السيد بالعبد.
33. تيطس 2: 4
34. بل هناك تفسير عصبي لميل الأزواج إلى أن يكونوا أكثر أنانية من الزوجات – انظر www.on.today.com/3CKRIsD
35. *Men and Women in Christ*, ص. 64
36. Duvall و Hays, *Grasping God's Word*, الفصل 13.
37. أرسطو، 1255b, *Politik*.
38. وأنا أنطلق أيضًا من أن «العبيد في البيئتين اليونانية والرومانية لم يكن يُسمح لهم قانونيًا بالزواج. ولذلك فإن ملاحظات بولس عن سلوك الزوجات والأزواج في أفسس 5 موجهة في المقام الأول إلى الأحرار، ولا سيما إلى الطبقة الاجتماعية التي كانت تدير أسراً فيها عبيد.» (Andrew Bartlett, *Men and Women in Christ*, ص. 66)
39. David Scholer, *Journal of the Evangelical Theological Society*, المجلد 30، ديسمبر/كانون الأول 1987، ص. 416. www.bit.ly/3bDKpl9
40. أرسطو، 1259a, *Politik*.
41. كان كلوسوس ناقدًا وثنيًا عاش في القرن الثاني. وهذا الاقتباس مأخوذ من روس شيبيرد كريمر (Ross Shepherd Kraemer) في *Her Share of the Blessings* (ص. 128).
42. انظر John Piper, *This Momentary Marriage*, الفصول 6-8.
43. لا يستعمل غرودم مصطلح «paterfamilias» إلا مرة واحدة، وذلك في الحاشية 102 من الفصل 7. وهناك يؤكّد كاتب آخر أهمية العضو الأكبر سنًا في الأسرة.
44. يوحنا بولس الثاني، *Mulieris Dignitatem*, ص. 88.
45. التكوين 12: 21
46. القضاة 13: 10-11
47. لوقا 1: 26-38
48. متى 1: 18-21
49. 2 الملوك 4: 8-10
50. 1 صموئيل 25: 3
51. 1 صموئيل 25: 25
52. الاقتباس الأصلي من [NRSV [New Revised Standard Version]
53. ريتشارد هايز، *First Corinthians*, ص. 116.
54. على سبيل المثال، كُتب كتاب واين غرودم (Grudem) المرجعي *Evangelical Feminism and Biblical Truth* [النسوية الإنجيلية والحق الكتابي] لدحض الحجج المساواتية، ومنها الحجة القائلة إن 1 كورنثوس 7 يعلم زواجًا قائمًا على المساواة. ولكن في فقرة قصيرة جدًا (6.7) لا تشغل سوى صفحة واحدة من أصل 800 صفحة من الكتاب، لا يفعل غرودم أكثر من الادّعاء بأن 1 كورنثوس 7 إنما ينظّم القيادة ذات السلطة للزوج فحسب. ومع ذلك فهو لا يقدّم أي حجة ضد الافتراض بأن هذا المقطع لا ينبغي أن ينظّم تطبيق التفسير الهرمي لأفسس 5 فحسب، بل أن يحدّد أيضًا تفسير أفسس 5. فنصّ مثل 1 كورنثوس 7، يقرّر بلا لبس أن للزوج والزوجة كليهما سلطة متساوية أحدهما على الآخر – وهي حقيقة يتفق عليها جميع المفسّرين –، ينبغي أن يكون له وزن عند تفسير نصّ (أفسس 5) لا يدّعي إلا بعض المفسّرين أنه يمنح الزوج سلطة من طرف واحد.
55. على سبيل المثال، كتب توم شراينر (Tom Schreiner) – كما يبيّن أندرو بارتليت (Andrew Bartlett) في *Men and Women in Christ* (ص. 18-19) – ردًا على كتاب فيليب باين (Philip Payne) *Man and Woman: One in Christ* الصادر سنة 2009، ملخصًا مفصّلًا ومحاولة للدحض. ومع أن باين يختصّ فصلاً كاملاً لـ 1 كورنثوس 7، فإن شراينر، على نحو غريب، لا يذكر هذا الإصحاح على الإطلاق. والأمر مشابه مع كلير سميث (Claire Smith)، التي نشرت سنة 2012 كتاب *God's Good Design: What the Bible Really Says about Men and Women* [تصميم الله الصالح: ما يقوله الكتاب المقدس حقًا عن الرجال والنساء]. وهدفها المعلن هو تناول «أهم النصوص الكتابية» التي «ينبغي أن تحدّد» أفضل نموذج للزواج. ويوصي دون كارسون (Don Carson) وآخرون بالكتاب بحماس، ويمتدحه كثيرون لشموليته. لكن من الغريب أنه لا يتناول أيّ فصل من فصولها الخمسة عن الزواج 1 كورنثوس 7. أنا لا أتهم هؤلاء الكتاب بعدم الأمانة، بل فقط بوجود نقطة عمياء كبيرة وعلامات على «الانحياز التأكيدي»، حيث يستخدم الناس الكتاب المقدس دون وعي، لا ليعرفوا كل ما يقوله في موضوع ما، بل فقط ليدعموا رأيهم المسبق.

56. اقتباس من *Discovering Biblical Equality*، ص. 238

المصدر: www.gates.ly/3bMqqQZ

58. المصدر: ساندرا جوشيل (Sandra Joshel) وشيلا مورناغان (Sheila Murnaghan)، *Women and Slaves in Greco-Roman Culture*، ص. 20-217. مقتبس في بار (Barr)، *The Making of Biblical Womanhood* (ص. 226)

59. انظر سوزان هايلن (Susan Hylen)، *Women in the World of the New Testament*

60. لكي تفهموا على نحو أفضل كيف تحدّ الظروف الاجتماعية من اختيار الأشخاص الذين يمكنهم تولّي دور قيادي، فكّروا في كنيسة حديثة تتألف في معظمها من أشخاص حاصلين على تعليم جامعي في حيّ ميسور. ثم تأمّلوا كم سيكون مستبعداً أن يتمكّن عامل غير متعلّم من تولّي دور قيادي في هذه الكنيسة، لسبب بسيط هو أنه سيكون من المشكوك فيه أن يتبعه هؤلاء الناس (وأن يتمكّن بالتالي من قيادتهم أصلاً). ولهذا السبب لا نجد في الكتاب المقدس أيضاً أمثلة على عبيد كانوا شيوخاً.

61. جون ستاكهاوس (John Stackhouse)، *Finally Feminist*، ص. 39

62. كولوسي 3: 18

63. تيطس 2: 5

64. 1 بطرس 3: 1

65. لكي لا يطول كتابي أكثر مما ينبغي، قرّرتُ ألا أشرح 1 بطرس 3: 1-7 شرحاً كاملاً. لكنني أوصي بالفصل 6 من كتاب أندرو بارتليت (*Men and Women in Christ* (Andrew Bartlett) [رجال ونساء في المسيح]. وعنوان الفصل «Submission and Honour: 1 Peter» (الخشوع والإكرام: 1 بطرس). وبيّن بارتليت، في رأيي على نحو مقنع، أن بطرس يسلك في جوهر الأمر الطريق نفسه الذي سلكه بولس في أفسس 5، لكي يقوّض النظام الهرمي في الثقافة بتعليم عن الخضوع المتبادل. فمثل بولس، لا يقلّب بطرس في 3: 1-6 دور المرأة الخاضع المتوقّع ثقافياً، ولا يؤيّده تأييداً مطلقاً؛ بل يعيد صياغته بدوافع جديدة مستوحاة من الإنجيل: لا خوفاً من الزوج غير المسيحي، بل رجاءاً في الله وسعيّاً إلى ربح الزوج للمسيح. ومثل بولس، لا يجعل بطرس دور الزوج المسيحي السلطوي المتوقّع ثقافياً مثالاً ولا يدينه، بل يعيد صياغته في 3: 7 من ثلاث نواحي: (1) على الأزواج أن يتصرّفوا تجاه زوجاتهم «كذلك»، أي بالطريقة نفسها (وهذه هي العبارة الحاسمة التي يبدو أن كثيرين من اللاهوتيين التكاملين يغفلونها)، كما وُصفت من قبل: المؤمنون تجاه إلههم وملكهم (2: 13)؛ والعبيد تجاه سادتهم (2: 18-25)؛ والمسيح تجاه جلاّديه (2: 21)؛ والنساء تجاه أزواجهن، ومنهن سارة تجاه إبراهيم في التكوين 18 (3: 1-6) – أي في خضوع متواضع (2) على الأزواج أن يعيشوا مع زوجاتهم بطريقة يراعون فيها القوة الأقل لدى زوجاتهم (3) على الأزواج أن يكرموا زوجاتهم، اللواتي (خلافاً للثقافة اليونانية الرومانية) لسن في مكانة أدنى، لأنهن وراثت متساويات معهن لنعمة الحياة. و«الإكرام» هنا هو الكلمة نفسها التي استُخدمت من قبل في الرسالة لوصف الخضوع الذي ينبغي أن يُظهره جميع المؤمنين للملك؛ قارنوا 2: 13 («اخضعوا [للسلطات]») و2: 17 («أكرموا الملك»). بعبارة أخرى، يقول بطرس للأزواج، من دون أن يستخدم اللفظ نفسه بالضبط، إن عليهم هم أيضاً أن يقدّموا لزوجاتهم الخضوع (بمعنى الخدمة المتواضعة المملوءة احتراماً). وإذا فهم الأمر هكذا، يبدو أن بطرس، مثل بولس في أفسس 5، يعيد صياغة معنى الخضوع في الزواج، فينقله من مجرد الطاعة لسلطة شخص آخر إلى التزام بالخدمة المتواضعة والإحسان. فالطاعة للسلطة لا يمكن أن تسري إلا في اتجاه واحد؛ أما كما يتبيّن في أفسس 5 و1 بطرس 3، فينبغي للزيجات المسيحية، بغضّ النظر عن البنى الاجتماعية التي توجد فيها، أن تشهد لخدمة متواضعة تسري في الاتجاهين. ولاحظوا فوق ذلك أن بطرس لا يقدّم كون الزوج يملك، بحسب خطة الله، سلطة من طرف واحد على زوجته سبباً لخضوع المرأة. ولو كان بطرس يؤمن بذلك، لكان هذا هو السياق المثالي لذكره. لكنه لا يفعل، والواقع أنه لا يوجد في أي موضع من الكتاب المقدس نصّ يُوصي فيه الأزواج بأن يمارسوا سلطة من طرف واحد على زوجاتهم.

66. التكوين 16: 9

67. على الهامش: كما كان نظام البيت عند أرسطو ونظام الحكم الملكي في ذلك الزمن، فإن الديمقراطية اليوم ربما تكون أفضل نظام حكم اكتشفه المجتمع حتى الآن.

68. 1 بطرس 2: 15

69. 1 بطرس 3: 1-2

70. تيطس 2: 5

71. تيطس 2: 10

72. 1 تيموثاوس 6: 1

73. 1 تيموثاوس 5: 7، 14

74. المصدر: www.bit.ly/3EL7OgM

75. الشكر لكيفن جايلز (Kevin Giles) في الفصل 8 من *What the Bible Actually Teaches on Women* على هذا القسم.

76. التكوين 9: 20-27

77. اللاويين 25: 39-41؛ 25: 44-46

78. الشكر لكيفن جايلز (Kevin Giles) في الفصل 8 من *What the Bible Actually Teaches on Women* على هذا القسم.

79. البابا يوحنا بولس الثاني، *Mulieris Dignitatem*، ص. 24. مقتبس في بار (Barr)، ص. 110.

80. المصدر: www.bit.ly/2ZXK1LY

81. «كانت العلاقة بين الأولاد والوالدين تختلف في نقاط جوهرية عن ثقافتنا اليوم. ففي العالم الحديث يُفترض أن الأولاد، في وقت ما بعد أن يبلغوا، يصبحون مستقلين عن والديهم ولا يعودون تحت سلطتهم. أما في العالم القديم فلم يكن الأمر كذلك؛ فقد كان يُنتظر من الأولاد البالغين أن يبقوا تحت سلطة والديهم حتى عمق سن البلوغ.» (هوارد مارشال (Howard Marshall)، *Discovering Biblical Equality*، ص. 188).
82. تقدّم جين هوكر (Jane Hooker) حجة أخرى سأضيفها إلى قائمة ستورمز: «هناك فروق كبيرة بين ممارسة العبودية في الكتاب المقدس والممارسة الأمريكية الأحدث للعبودية.» (المصدر: www.bit.ly/3GNFnk9). ويبدو أنها تريد بذلك أن تقول إن الحركة الاجتماعية لإنهاء العبودية في القرون الأخيرة مفهومة، لكن العبودية في القرن الأول لم تكن بهذا السوء. غير أن العبيد كانوا يُعاملون بقسوة في القرن الأول أيضًا. وفوق ذلك فهي تتجاوز جوهر المسألة: ففي الحالتين كانت العبودية تعني امتلاك إنسان لأغراض اقتصادية. ولم يكن إلغاء العبودية متعلقًا بسوء معاملة العبيد وحده، بل بصورها الأخفّ أيضًا.
83. كين فيلدر (Cain Felder) (محرّر)، *Stony the Road we Trod*، ص. 226. مقتبس لدى بار، الفصل 6.
84. جان جاك روسو، *Emil oder Über die Erziehung* (1762). مقتبس في بار، الفصل 6.
85. يعبّر جون ستاكهاوس (John Stackhouse) في *Finally Feminist* (ص. 56) عن ذلك بحدة أكبر: «عندما كان المجتمع أبويًا، كما كان الحال في سياق العهد الجديد، وكما هو الحال في كل مكان في العالم باستثناء المجتمع الحديث في زماننا، تجنّبت الكنيسة الفضائح بالتكليف معه. أما الآن، وقد صار المجتمع الحديث مساواتيًا على الأقل رسميًا، فإن الفضيحة هي أن الكنيسة لا تسير مع المجتمع، ولا تفرح بالحرية غير المسبوقة لأن تدع النساء والرجال يخدمون بحسب مواهبهم ودعوتهم دون حدود اعتبارية بين الجنسين. وهذه الفضيحة تعيق تبشير الآخرين كما تعيق ... ارتباط من اهتموا بالفعل ونموهم. ... إن استمرار الكنائس في النظام الأبوي في هذا المجتمع يشكّل [لكثيرين] عائقًا دينيًا.»